

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محمد أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Faculté des Lettres et des Langues

قسم اللغة والأدب العربي
تخصص لسانيات تطبيقية

الآليات الحجاجية في سورة الأنعام

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

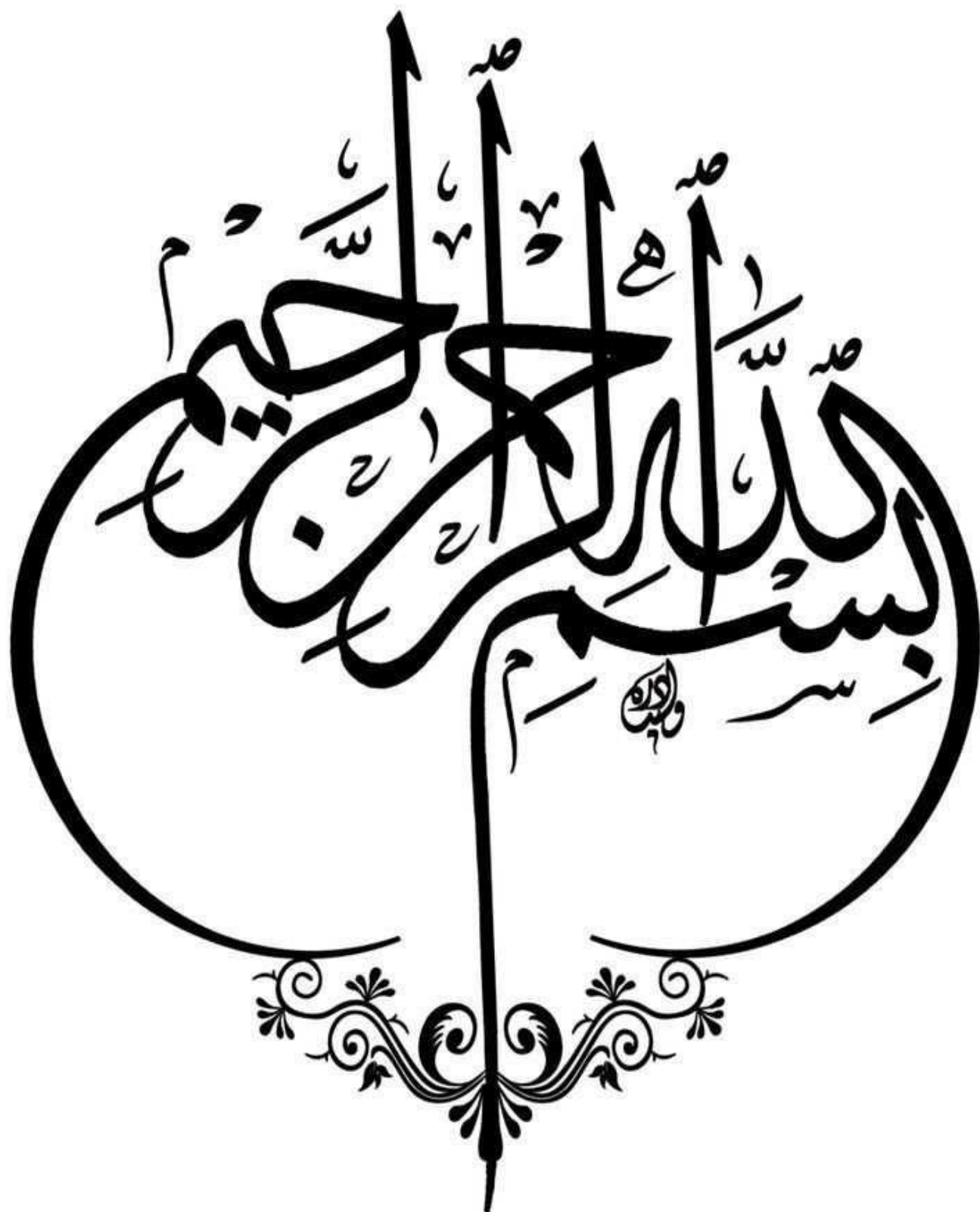
إشراف الأستاذ (ة) :
د. طيب نفيسة

إعداد الطالب (ة) :
جرياني خليفة

لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة البويرة	أ.د فريدة موساوي
مشرفا ومقررا	جامعة البويرة	د. نفيسة طيب
مناقشا وممتحنا	جامعة البويرة	د. أمينة لعموري

السنة الجامعية : 2025 / 2026



الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى والديّ العزيزين،

مصدر الرحمة والسكينة، وصاحبي الفضل بعد الله في كل
خطوة من خطوتي، واللذين لم يبخلوا عليّ بدعائهما ودعمهما
وتشجيعهما المتواصل.

إلى والدتي الحنون، رمز التضحية والصبر، وإلى والدي الكريم،
قلوتي في الجدّ والاجتهاد.

إلى إخوتي وأخوتي الأعزاء، شركاء الأفراح وتحمل الصعاب،
الذين كانوا دومًا سندًا لي في مسيرتي العلمية والحياتية.

إلى أساتذتي الكرام، الذين غرسوا في نفسي حبّ العلم،
وفتحوا أمامي آفاق البحث والتفكير.

إلى كل من آمن بي ووقف إلى جوارتي ولو بكلمة طيبة أو دعوة
صادقة.

أهدي هذه المذكرة المتواضعة، راجيًا من الله تعالى أن يجعلها
خالصة لوجهه، وأن ينفع بها أهل العلم والباحثين.

الشكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

أتقدّم ببالغ الشكر والعرفان إلى أستاذتي المشرفة
الفاضلة الدكتورة نفيسة طيب على ما بذلته من جهدٍ
مشكور في توجيهي ومتابعتي، وما قدّمته من نصيحٍ علمي
وملاحظات بناءة أسهمت في إخراج هذه المذكرة في صورتها
الحالية. كما أشكر أساتذة قسم اللغة والأدب العربي على
ما قدّموه من علم وتكوين خلال سنوات الدراسة، فكان
لذلك أثر بالغ في مساري العلمي

كما أشكر كل من ساعدني أو قدّم لي يد العون، ولو بكلمة
أو إشارة أو فكرة، وأسأل الله أن يجزي الجميع عني خير
الجزاء، وأن يجعل هذا العمل نافعًا ومبلغًا

مقدمة

تُعَدُّ اللغة في جوهرها ظاهرةً تواصليةً وإقناعيةً في آنٍ واحد، فهي لا تكتفي بنقل المعلومات والأخبار، بل تسعى دومًا إلى التأثير في المتلقي ودفعه نحو قناعات وسلوكيات بعينها. ولا يتجلى هذا البُعد الإقناعي للغة في مكان أعمق وأوضح مما يتجلى في الخطاب القرآني الكريم، الذي يُشكِّل قمة الكمال اللغوي والبلاغي والحجاجي، لاسيما في سورة الأنعام التي تخر بآليات الحجاج والإقناع المُوجَّهة إلى المشركين والمُكذِّبين.

يندرج هذا البحث ضمن حقل الدراسات اللسانية التداولية، ويتمحور حول دراسة آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام وفق نظرية الحجاج في اللغة كما أسَّسها اللساني الفرنسي أوزفالد ديكرول بالاشتراك مع زميله جان كلود أنسكومبر، وهي نظرية ثورية في مسار الدراسات الحجاجية كونها تُدرج الحجاج في صُلب بنية اللغة ذاتها لا في فضاء الخطابة الخارجية.

تنبثق إشكالية هذا البحث من سؤال محوري رئيسي هو: كيف تشتغل آليات الحجاج اللساني التداولي عند ديكرول في سورة الأنعام؟ وهذه الإشكالية الرئيسية تتفرع إلى جملة من الأسئلة، أبرزها: ما المفاهيم الجوهرية التي تؤطر نظرية الحجاج عند ديكرول (كالمُسلم الحجاجي والروابط الحجاجية والتوجيه الحجاجي)؟ وكيف تتجلى هذه الآليات اللغوية والبلاغية والتداولية في سورة الأنعام؟ وما الوظيفة الحجاجية التي تضطلع بها الأساليب الخبرية والإنشائية والبلاغية في بناء الخطاب الإقناعي للسورة؟

وينطلق هذا البحث من جملة فرضيات تسعى الدراسة إلى إثباتها أو نفيها، أبرزها: أن سورة الأنعام تُمثِّل نموذجًا قرآنياً فريداً تتضافر فيه آليات الحجاج اللغوي بصورة منسجمة ومتكاملة، وأن مفاهيم ديكرول الحجاجية -من سَلَم حجاجي وروابط وتوجيه وتعدد أصوات- قادرة على استيعاب الظاهرة الحجاجية في النص القرآني وتفسيرها تفسيراً علمياً دقيقاً.

اعتمد هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف الظاهرة الحجاجية في سورة الأنعام ويحلل معطياتها في ضوء المفاهيم النظرية لديكرول، إلى جانب الاستعانة بأدوات المنهج التداولي في مقارنة الأفعال الكلامية والافتراضات المسبقة وآليات التوجيه الخطابية.

بُنيت هذه المذكرة على فصلين رئيسيين؛ يُؤسّس الفصل الأول الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي ، عبر ثلاثة مباحث تتناول مفهوم الحجاج ومساره التاريخي، ثم النظرية الحجاجية ومفاهيمها من سلّم وروابط وقيم تداولية، ثم الآليات الحجاجية الكبرى من توجيه وتعدد أصوات وافترض مسبق وأفعال كلامية. أما الفصل الثاني فيتولى التحليل التطبيقي لآليات الحجاج في سورة الأنعام على ثلاثة مستويات: الآليات اللغوية التركيبية، والآليات البلاغية، والآليات التداولية التواصلية.

مادفنا إلى اختيار هذا الموضوع جملةً من الأسباب، في مقدّماتها: الأهمية اللسانية البالغة لنظرية ديكرو التي فتحت آفاقاً جديدة في دراسة الخطاب، والحاجة الماسّة إلى تطبيق هذه النظرية على النص القرآني الكريم كشفاً لطبيعته الحجاجية الفريدة، فضلاً عن ثراء سورة الأنعام الاستثنائي بالبُنى الحجاجية المتنوعة التي تجعلها حقلاً خصيباً لهذا النوع من الدراسات.

وتستمد هذه الدراسة أهميتها من كونها تجمع بين منهجية المقاربة ونص قرآني أصيل، مما يُتيح الكشف عن أبعاد حجاجية في الخطاب القرآني لم تحظ بالدراسة الكافية من هذا المنظور التداولي، ومن ثمّ فهي تُغني الدراسات اللسانية العربية المعاصرة بإضافة منهجية وتحليلية قيّمة.

وقد استأنست هذه الدراسة بعدد من الأعمال العلمية السابقة التي تناولت الحجاج في النص القرآني أو في نظرية ديكرو، غير أنها تتفرد بجمعها بين نظرية الحجاج في اللغة بمفاهيمها الدقيقة وسورة الأنعام تحديداً بوصفها حقلاً تطبيقياً. وقد وظّفت هذه الأعمال أدلةً ونتائج تُقيد البحث وتُوسّع آفاقه التحليلية.

كما واجهنا في هذا البحث جملةً من الصعوبات، أبرزها: غموض بعض المفاهيم وتشعب مصطلحاتها الفرنسية التي لا يتفق المترجمون على مقابلاتها العربية، وكثرة الآيات في السورة مما يستدعي انتقاء ممثلاً دقيقاً دون الإخلال بالشمولية.

وفي الختام نرجو من الله تعالى التوفيق والسداد ، ونأمل أن يُسهم هذا العمل المتواضع في إثراء الدراسات اللسانية التداولية وإضاءة جانب من جوانب الإعجاز البياني والحجاجي في كتاب الله العزيز.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي عند ديكر

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

يُعدّ أوزفالد ديكر (Oswald Ducrot) من أبرز اللسانيين الفرنسيين الذين أسهموا إسهامًا عميقًا في إرساء معالم نظرية الحجاج ضمن الدرس اللساني الحديث، وذلك من خلال منظور تداولي بالغ الدقة يتجاوز حدود الدلالة المعجمية والتركيب النحوي ليقيم نظريةً شاملةً تُدرج الحجاج في صلب بنية اللغة ذاتها لا في فضاء الخطابة الكلاسيكية الخارجي. وقد أحدثت أعماله —سواء المنفردة أو تلك المشتركة مع زميله جان كلود أنسكومبر (Jean-Claude Anscombre)— قطيعةً معرفيةً مع التصورات التقليدية التي كانت ترى في الحجاج ظاهرةً لاحقةً على اللغة أو مستقلةً عنها.

ومن هنا ارتأى هذا الفصل أن يُقيم الإطار النظري والمفاهيمي اللازم لاستيعاب نظرية ديكر الحجاجية في كليّتها، عبر رسم خارطة المفاهيم الجوهرية التي تؤسّس بناءها، ورصد مسار تطور الدراسات الحجاجية التي مهّدت لها، وتحليل الآليات والأدوات التي يُعَوّل عليها ديكر في تفسير الظاهرة الحجاجية بوصفها ظاهرةً لسانية تداولية في المقام الأول. وهذا الإطار النظري هو الأساس الذي يركز عليه التحليل التطبيقي في الفصل اللاحق.

ويتوزع هذا الفصل على ثلاثة مباحث متكاملة: يُعنى الأول بتحديد مفهوم الحجاج لغةً واصطلاحًا ورصد مسيرة تطور الدراسات الحجاجية. ويُخصّص الثاني للنظرية الحجاجية عند ديكر بمفاهيمها الأساسية من سلّم حجاجي وروابط حجاجية وقيم تداولية. فيما ينصرف الثالث إلى دراسة الآليات الحجاجية الكبرى في تفكيره، كالتوجيه الحجاجي وتعدّد الأصوات والافتراض المسبق والأفعال الكلامية.

1. الحجاج في الدرس اللساني الحديث

1.1 مفهوم الحجاج لغةً واصطلاحًا

أولاً : الحجاج في اللغة العربية

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

يرجع لفظ (الحجاج) في اللغة إلى المادة المعجمية (ح ج ج)؛ وحسب ما ورد في لسان العرب لابن منظور، "فإن التحاج يعني التخاصم، وجمع الحجة: حجج وحجاج، ويقال: حاجه محاجة وحجاجاً أي نازعه الحجة، وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته"¹

ولتوضيح المعنى اللغوي بشكل أكثر تفصيلاً، نجد أن "معجم اللغة العربية المعاصرة" لأحمد مختار عمر يشرح الفعل (حاج) بأنه يعني: "جادله وخاصمه"² وهذا يبين لنا أن الحجاج في اللغة ليس مجرد تقديم برهان، بل هو نقاش وتبادل للكلام بين شخصين يحاول كل طرف فيهما إقناع الطرف الآخر بوجهة نظره وإبطال حجته .

ومن الناحية اللغوية والقرآنية، يربط الراغب الأصفهاني في كتابه "المفردات" مفهوم الحجة بالدلالة العقلية القطعية، مستدلاً بسياق الآيات في سورة الأنعام؛ "حيث يرى أن الحجة في أصلها نوعان: إما "حجة صحيحة بالغة يلزم بها العقل وجوباً" كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام: 149]، وإما أن تتحرف لتصبح مجرد مغالطة وجدال بالباطل لا قيمة له"³ ؛ وهذا يوضح أن الآليات الحجاجية القرآنية تقوم في أصلها على البراهين العقلية اليقينية في مواجهة المغالطات

ثانياً: الحجاج في الاصطلاح الحديث:

تلتقي المقاربات اللغوية والتحليلية المعاصرة في تحديدها لأبعاد العملية الحجاجية مع المفهوم الاصطلاحي القديم للمحاجة؛ حيث يعرف الجدل والمحاجة اصطلاحاً بأنه "قتل الخصم عن قصده أي: قتل المجادل للخصم عن مذهبه بالمحاجة فيه" لطلب صحة قوله أي: المجادل وإبطال قول غيره"⁴. وهذا المفهوم

1 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، مادة ، ج2، ص228

² أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ - 2008م، مادة (ح ج ج)، ج1، ص 432.

³ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1،

1412هـ - 1992م، مادة (حجج)، ص 217.

⁴ أحمد بن عبد الله البعلي، الذخر الحرير بشرح مختصر التحرير، تحقيق: محمد بن علي بن عثمان الفوزان، مادة، ص 765

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

يتقاطع تماما مع الممارسات الحجاجية الحديثة التي تجعل الدحض، والإقناع، وتوجيه المتلقي، وإبطال الأطروحات المخالفة بالبراهين اللغوية غاية أساسية لكل خطاب حجاجي

وفي هذا الإطار التداولي ذاته، تلتنقي النظريات اللسانية المعاصرة مع المقاربات البلاغية والأصولية في تحديد غاية العملية التخاطبية؛ حيث يعرف الباحث هود محمد أبو راس الخطاب اصطلاحاً بقوله: "والخطاب هو توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، فتبين من التعريفات اللغوية أن الخطاب يرجع إلى توجيه الكلام للإفهام، وأن ذلك يكون بين طرفين أحدهما هو المخاطب والثاني هو المُخاطَب"¹. ويشير هذا الربط المعرفي إلى أن الخطاب في جوهره ليس مجرد بنية لسانية ساكنة، بل هو ممارسة تفاعلية حية تنهض على ثنائية (المتكلم و المتلقي) بهدف تحقيق القصدية التفهيمية والتأثيرية. ومن هذا المنطلق، يلتقي هذا المنظور التوجيهي مباشرة مع الأبعاد الفلسفية واللسانية لنظرية "أوزفالد ديكر"، التي ترى أن الوظيفة الأساسية للغة ليست إخبارية محضاً، بل إن كل جملة لغوية تحمل في بنيتها الدلالية توجيهاً حجاجياً مضمناً يستهدف قيادة التفاعل وتوجيه ذهن المخاطب نحو استنتاجات محددة.

1-2 تطوّر الدراسات الحجاجية:

الجدور الكلاسيكية . الخطابة الأرسطية:

لقد تناول فلاسفة اليونان الكثير من الظواهر المرتبطة بالممارسة الحجاجية بدرجة عالية من الدقة والشمول، ساعد في ذلك التفتح الديمقراطي الذي شهدته الحضارة اليونانية، والذي حمل لقدماء اليونان أفلاطون، أرسطو ، وعياً للتنظير لفني الخطابة والجدل مبينين من خلالهما إستراتيجية الإقناع، وهذه الإستراتيجية هي الحجاج نفسه.

لعل آثار "أرسطو" هي أهم تلك الأعمال وأبلغها تأثيراً فيما سيلحقها من أبحاث ودراسات بلاغية، وما يهمنا أساساً من هذه الأعمال آراءه المتعلقة بالحجاج، فقد قدم أرسطو مفهوماً للحجاج يجعله قاسماً مشتركاً بين الخطابة والجدل، ذلك أن الخطابة هي فن الإقناع عن طريق الخطاب، وأن الوظيفة الإقناعية هي وظيفتها الأساسية.

¹ هود محمد أبو راس، الخطاب القرآني لأهل الكتاب وموقفهم منه قديماً وحديثاً، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014 ، ص 38.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

ومن المهم هنا أن نلفت الانتباه إلى قضية أساسية في الحجاج عند أرسطو تتمثل في "علاقة الحجاج بمجالي الخطابة والجدل، فقد أكد أرسطو وجود الحجاج في الخطابة، كما في الجدل، فهو القاسم المشترك بينهما، حيث إن الجدل والخطابة: قوتان لإنتاج الحجج"¹ بمعنى آخر أن الخطابة تعتمد على الحجاج شأنها في ذلك شأن الجدل، مع اختلاف كامن في بنية الحجاج في كليهما، حيث يقول أرسطو: "كما أن للجدل ضريبن من الحجاج هما الاستقراء والقياس الحقيقي أو الظاهري، فالأمر كذلك فيما يتصل بالخطابة، لأن المثل استقراء، والضمير قياس ظاهر، وتبعاً لذلك فإنني أسمى ضميراً القياس الخطابي، وأسمى المثل استقراء خطابياً"².

ويعتبر أرسطو العمدة في الحجاج، حيث تناول الحجاج من زاويتين متقابلتين من زاوية بلاغية ومن زاوية جدلية، فمن الزاوية البلاغية يربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع

ومن الزاوية الجدلية يعتبر الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية، "وتتطلب من مقدمات اتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة، فهاتان النظرتان المتقابلتان تتكاملان في التحديد الذي يقدمه (أرسطو) لمفهوم الخطاب، إذ يبينه انطلاقاً من أنواع الحضور ومن الرغبة في الإقناع، ويحدده في ثلاثة أنواع: النوع الاستشاري، النوع القضائي، والنوع القيمي"³.

وقد ميز بين ثلاث مستويات من الحجج (الأيثوس، الباتوس، اللوغوس) في علاقتها بالأركان الثلاث للفعل الخطابي: الخطيب، المستمع، الخطاب.

– "الأيثوس" Ethos الباث / الخطيب يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب والصورة التي يقدمها عن نفسه".

– "الباتوس" Pathos المتلقي / المستمع ويشكل مجموعة من الانفعالات يرغب الخطيب في إثارتها لدى المستمعين".

¹ عبد الله صولة الحجاج في القرآن الكريم، ص 17

² أرسطو، الخطابة تعريب عبد الرحمان بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، المقالة 1، الفصل 2. انظر مذكرة ماستر

جامعة محمد خيضر بسكرة، ص 12

³ محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 15.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

"اللوغوس" Logos" الرسالة الخطبة ويتمثل الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، فيرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي"¹.

ومن هنا يمكن القول أن البلاغة الحجاجية قد اتضحت معالمها مع أرسطو من خلال مؤلفه المعروف بـ "الخطابة" حيث يعد أهم كتاب أنجزه، ولعل تميّز هذا الكتاب يرجع إلى تركيزه على الوظيفة الاقناعية التي استخلصها من بحثه ضمن المنطق الجدلي أو التواصل اليومي، مما أعطى للبلاغة بعداً حجاجياً انعكس في اهتمامها بالحجج ومقدمات التواصل التي حصرها ضمن ثلاثة أجناس: القضائية والاستشارية والقيمية، قاده ذلك إلى وضع أسس الدرس الحجاجي.

مشروع بيرلمان . الخطابة الجديدة:

يُشكل مشروع "الخطابة الجديدة الذي أسسه شايم بيرلمان بالاشتراك مع لوسي أولبريخت-تيتيكا (Olbrechts-Tyteca) عام 1958م، محطةً جوهرية في نظرية الحجاج المعاصرة، إذ ينصبّ تركيزه على دراسة تقنيات الخطاب التي تستهدف توجيه الأذهان نحو التسليم بالأطروحات المعروضة، أو تعميق درجة ذلك التسليم"².

"ولا تتفصل هذه الوظيفة عن الغاية العملية للحجاج، التي تهدف إلى الفعل في المتلقي ودفعه نحو تبني موقف معين، أو حمله على القيام بعمل محدد أو الإمساك عنه"³

"وتتأكد هذه الغاية في كون أنجع أشكال الحجاج هو ما ينجح في جعل العقول تذعن للآراء المطروحة، أو تعزز درجة ذلك الإذعان، بما يهيئ السامعين للعمل المطلوب في اللحظة المناسبة"⁴

¹ محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية،، ص 18.

² عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم: بنيته وأساليبه، دار الفارابي، بيروت، 2007، ص 27.

³ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2011، ص 21. المذكرة السابقة، ص 19.

⁴ عبد الرحمان بن حميدي، "الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث"، مجلة البحث العلمي في الآداب، العدد 19، ج2،

2018، ص10.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

وفي هذا السياق، يتسم الحجاج بطبيعة إجرائية تتجاوز القواعد الصورية؛ إذ يتوجه إلى مستمع معين عبر لغة طبيعية، وتظل مسلماته احتمالية قابلة للرفض أو التغيير، مما يجعله بنية مرنة تتشكل وفق معطيات الخطاب ومقتضيات المقام التداولي

نموذج تولمين:

"يُعدّ نموذج تولمن واحداً من أبرز النماذج الحجاجية المعاصرة التي أحدثت تأثيراً عميقاً في دراسات الحجاج المنطقي خلال النصف الثاني من القرن العشرين، حيث يُصنّف "ستيفن تولمن" بوصفه من أهم رواد الحجاج في إطار المنطق غير الصوري"¹

"وتكمن أهمية هذا النموذج في كونه آلية حجاجية تعتمد على المنطق غير الصوري والتفكير الناقد، حيث يُنظر للحجاج لديه بوصفه نشاطاً تفاعلياً يهدف إلى التواصل بين المرسل والمتلقي من خلال تبادل الأدلة والبراهين التي تهدف إلى إقناع الطرف الآخر أو تنفيذ وجهة نظره، مما يجعل منه أداة قوية وملائمة لتحليل مختلف أنواع الخطاب الإنساني"²

الانعطافة التداولية . ديكر و مدرسة الحجاج في اللغة:

"تُمثل "الانعطافة التداولية" في الدراسات الحجاجية المعاصرة مرحلة نوعية فاصلة، أحدثت قطيعة جذرية مع التصورات اللسانية السابقة التي كانت تنظر إلى الحجج بوصفها مجرد كيانات منطقية مجردة أو أدوات بلاغية خارجية. وقد قاد هذا المشروع اللساني "أوزوالد ديكر و (Oswald Ducrot) "بالاشتراك مع "جان كلود أنسكومبر (J.C.Anscombe) "، حيث أسساً معاً نظرية "الحجاج في اللغة (Théorie de la langue) (Argumentation dans la langue) التي تنطلق هذه النظرية من فرضية أساسية ترى أن اللغة الطبيعية لا تنفصل عن وظيفتها الحجاجية؛ إذ تحمل الأقوال اللغوية في بنيتها ذاتها "مؤشرات حجاجية" توجه الخطاب وتصيغه. ولقد استمد هذا المشروع إطاره النظري من "فلسفة اللغة العادية"، التي دعت إلى تجاوز النظريات

¹ شوقي المصطفى، الحجاج في المنطق غير الصوري، ص 38. مجلة كلية التربية - جامعة العريش، السنة السابعة، العدد الثامن،

أبريل 2019، ص 29

² مجلة كلية التربية - جامعة العريش، السنة السابعة، العدد الثامن، أبريل 2019، ص 29.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

التي تختزل اللغة في جمل مجردة، والتوجه بدلاً من ذلك نحو دراسة التلفظ في سياقه التواصلية الطبيعي، مما جعل من الحجاج مبدأً جوهرياً لاشتغال اللغة ومقاصد المتكلمين، وليس مجرد ممارسة عارضة أو ثانوية¹

2- النظرية الحجاجية عند ديكر (المقاربة التداولية):

2-1. مفهوم الحجاج عند ديكر:

أولاً : الحجاج وصميم اللغة:

"تعتبر نظرية الحجاج اللغوي من أهم النظريات المعاصرة التي أرسى دعائمها اللساني الفرنسي ديكر" من خلال مؤلفه المشترك مع زميله "جان كلود أنسكومبر (J,C,Anscambre)" ، الحجاج في اللغة منذ سنة 1973، وهي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية، وبإمكانات اللغة الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة م"، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية ثم إنها تنطلق من فكرة مفادها: «أننا نتكلم عامة بقصد التأثير. »

هذه النظرية تريد أن تبين أن " اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها"²

يقول ديكر: إن التسلسلات الحجاجية الممكنة في خطاب ما ترتبط بالبيئة اللغوية للأقوال وليس فقط بالأخبار التي تشتمل عليها".³

ثانياً : الحجاج مقابل الإخبار:

¹ / عمور، محاضرة: نظرية الحجاج في اللغة عند أوزوالد ديكر، جامعة محمد بن خلدون تيارت، المستوى: ماستر 1، السداسي الثاني،

² أبو بكر العزاوي اللغة والحجاج، دار الأحمديّة، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص 14.

³ أبو بكر العزاوي اللغة والحجاج، دار الأحمديّة، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص 16.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

وقد ميّز ديكره تمييزاً دقيقاً بين وظيفتين أساسيتين للغة: "الوظيفة الإخبارية (fonction informative) التي تنقل محتوى قضوياً عن الواقع، والوظيفة الحجاجية (fonction argumentative) التي تُوجّه المتلقي نحو استنتاجات معينة. ويُؤكّد ديكره أن الكثير من الملفوظات الإخبارية في ظاهرها هي في العمق الحجاجي حجاجية الطابع، أي أنها لا تكفي بنقل معلومة بل تُريد من المتلقي أن يستنتج منها نتيجة معينة، وإلا فلم تكلف المتكلم عناء النطق بها وإدراجها في سياق الخطاب".

وهذا الموقف يقلب المنطق التقليدي رأساً على عقب: "فبدلاً من أن نقول إن الخطاب حجاجي حين يُضيف على المعلومة تعليقاً أو توجيهاً، نقول إن كل خطاب هو في الأصل حجاجي سواء أدرك المتكلم ذلك أم لم يدركه"¹.

ويستدل ديكره على هذا الموقف بأمثلة من الاستعمال اللغوي الفعلي تُبين كيف أن الجمل التي تبدو إخبارية محضّة تحمل في الواقع توجيهات حجاجية لا يمكن إغفالها دون الإخلال بالمعنى الكامل للملفوظ. فجملة «لقد أتيت متأخراً» لا تكفي بنقل حقيقة وقوعية، بل تُوجّه المتلقي نحو استنتاجات من قبيل: «أنت مُقصر» أو «يجب أن تعتذر» أو «لقد فاتتك الفرصة». وهذه الاستنتاجات ليست مُضافةً من خارج الملفوظ بل إنها مستحصرة من بنيته الدلالية وسياقه التداولي. وقد أسمى ديكره هذا البُعد التوجيهي في الملفوظات بـ«التوجيه الحجاجي»²، وهو من أكثر المفاهيم التي سيأتي تفصيلها في المبحث الثالث.

ثالثاً : الحجاج اللغوي ومفهوم القوة الحجاجية:

يُقدّم ديكره وأنسكومبر في «الحجاج في اللغة» مفهوم «القوة الحجاجية (force argumentative)» بوصفه إحدى الخاصيتين الجوهريتين للملفوظ إلى جانب «التوجيه الحجاجي (orientation argumentative)». فإذا كان التوجيه يُحدّد «نحو أيّ نتيجة» يُوجّه الملفوظ المتلقي، فإن القوة تُحدّد «بأيّ درجة» يُلزمه بتبني تلك النتيجة أو الاقتراب منها. ويقول ديكره: «في سياق معين، تستلزم الحجة استنتاجاً

1- محمد سالم ولد محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 95.

2- عبد الله صولة، الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته ، ص 19.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

ما، وقد تكون ملزمةً بدرجات متفاوتة: فبعض الحجج تستوجب بشكل حتمي تقريباً نتيجةً بعينها، وبعضها لا يُرسخ الاستنتاج إلا بصورة ضعيفة»، وهو ما يدل على أن الحجاج اللغوي يُشكّل طيفاً مُتدرّجاً لا ثنائيةً حضور/غياب¹.

وتجدر الإشارة إلى أن "ديكرو يرسم حدوداً واضحةً بين نظريته في الحجاج اللغوي وبين نظريتي بيرلمان وتولمين، مُنبّهاً إلى أن هذين الأخيرين ينصبّ اهتمامهما على الحجاج بوصفه استراتيجيةً بلاغيةً أو فعلاً اجتماعياً، في حين يُركّز هو على ما يُسمّيه «الحجاج اللغوي» الذي يندرج ضمن بنية الجمل والملفوظات ولا يحتاج في وصفه إلى استحضار سياق خطابي خارج اللغة. وهذا الفارق الجوهرى بين المقاربتين هو الذي يُعطي نظرية ديكرو طابعها اللساني الصارم ويُميّزها عن كثير من الدراسات الحجاجية الأخرى².

2-2: السلم الحجاجي (l'Échelle argumentative)

أولاً: تعريف السلم الحجاجي وطبيعته:

حسب ديكرو كل خطاب هو سلم حجاجي "وهكذا تصبح كل خطوة جديدة في عرض الأفكار وترتيب المعلومات انتقالاً إلى حجة أقوى، إلى أن يصل العرض إلى آخر حجة تؤدي إلى النتيجة مباشرة، وتكون هي أقوى الحجج، مما يؤدي إلى القول: إن كل خطاب هو سلم حجاجي، أي أنه يتكون من مجموعة من الحجج مرتبة ومنظمة تصاعدياً، من حيث قوتها، يستعملها المتكلم قصد التأثير في المخاطب"³.

"أثناء ترتيب الحجج بالتدرج نصل إلى الحجة الأخيرة تلك الحجة تؤدي إلى النتيجة الفورية وبذلك تحتل المرتبة الأقوى بين الحجج وبما أن كل خطاب هو سلم حجاجي، فإنه عبارة عن مجموعة الحجج التي تم تنظيمها وترتيبها تصاعدياً من الأصغر إلى الأكبر ومن الأضعف إلى الأقوى، والهدف الأهم من هذا كله هو تأثير المتكلم في السامع، وبذلك ترتب الحجج على السلم الحجاجي وفقاً للصفات، فالصفات الدالة على

1 حمادي صمود (إشراف)، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص 61.

2 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 248.

³ عبد المجيد الإنتصار، الأسلوب البرهاني الحجاجي في تدريس الفلسفة من أجل ديداكتيك مطابق لمتطلبات سور الأزيكية دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1997م، ص

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

المحاسن تمثل في أعلى مرتبة من السلم في حين تمثل الصفات الدالة على المساوئ في أدنى السلم الحجاجي.¹

"فالحجج حينما تتفاوت ضمن نفس الحقل الحجاجي تكون سلماً حجاجياً".²

ثانياً: قوانين السلم الحجاجي

أ- قانون النفي:

"يخص هذا القانون الحدث الحجاجي الذي ليس له مقابل منطقي يوافقه، وينص القانون على أنه إذا انتمت حجة "ق" إلى القسم الحجاجي الذي تعينه النتيجة "ن"، فإن نفيها "لا - ق" سيعيد الحجة التي تدعم النتيجة "لا - ن".³ يُعنى هذا القانون بالأحداث الحجاجية الخاضعة للمعرفة، فإذا كان قول ما (أ) مستخدماً من طرف المتكلم ليقدم نتيجة معينة"، فإن نفيه (لا أ) يصبح حجة لنتيجة مضادة.

• مثال: محمد مجتهد، فقد نجح / محمد ليس مجتهداً، إنه لم ينجح.

ب- قانون القلب:

يعد قانون القلب امتداداً لقانون النفي، ويعمل على مراعاة الخصائص المرتبطة بالحجج التي تنتمي إلى سلم حجاجي. ينص هذا القانون على أن سلم الأقوال السلبية هو عكس سلم الأقوال الإيجابية. فإذا كانت "ق" هي أقوى من "ق" في السلم الحجاجي الذي تحدده النتيجة "ن"، فإن قانون القلب الحجاجي يتكهن بأن السلم السلبي يجعل من "لا - ق" حجة أقوى من "لا - ق" بالنسبة للنتيجة "لا - ن".⁴

¹ خديجة محفوظ، بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007، ص 97.

² عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 101

³ جاك موشر وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين بمراجعة خالد ميلاد، أرسيناترا المركز الوطني للترجمة تونس، ط2، 2010م، ص 32

⁴ جاك موشر وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 304.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

ج- قانون الخفض: "مقتضى هذا القانون أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها. وقد وضعت له الصيغة الرمزية التالية:

"نا م ← نا م - ن."

حيث "نا" ترمز إلى القول الطبيعي، العلامة "←" ترمز إلى اللزوم، والعلامة "¬" ترمز إلى النفي. و"م" و"م-ن" يرمزان إلى الرتبة مع "م $\geq$ 2" و"ن $\geq$ 1".

ثالثاً: السلم الحجاجي وأثره في الدراسات العربية

وقد وجد مفهوم السلم الحجاجي صدقاً واسعاً في الدراسات اللسانية العربية المعاصرة، إذ رأى باحثون عديدون أن هذا المفهوم يتيح قراءةً حجاجيةً منظّمةً لكثير من الظواهر البلاغية والتركيبية في العربية التي كانت تُدرّس من منظور جمالي أو نحوي صرف. فقد أشار محمد سالم ولد محمد الأمين إلى أن التدرّج الحجاجي يتجلى في العربية بصورة واضحة في ظاهرة «التدرّج في الأوصاف» و«التراكم الخبري» وهو ما كان النحويون والبلاغيون يُسمّونه «الترقّي» و«التتريل». كما رصد في الشعر العربي الكلاسيكي آليات سَلَمِيّة واضحة تُنظّم الحجاج وتُرتّبها في بناء خطابي هرمي يُشبه إلى حدّ بعيد ما وصفه ديكرود في السياق الفرنسي².

ولفهم هذا المفهوم فهماً تطبيقيّاً، يمكن ضرب المثال التالي: "إذا قال متحدث «لقد أدرك أجله وهو فقير بلا أهل ولا أصدقاء»، فإن تعداد هذه المصائب ليس عشوائياً بل هو يُشكّل سلّماً حجاجياً متصاعداً: الفقر > فقدان الأهل > فقدان الأصدقاء، وكل درجة تُضيف قوةً إلزاميةً في الاتجاه نحو نتيجة يمكن إجمالها في: «هذا الموت كان مأساةً تامةً». وقد خلص عبد الله صولة من تحليله لمفهوم السلم إلى أنه «إحدى الإضافات النظرية الأكثر أصالة التي قدّمتها نظرية ديكرود وأنسكومبر للدرس اللساني والبلاغي المعاصر»³.

¹ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 277-278.

² محمد سالم ولد محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 114.

³ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص 91.

2-3 الروابط الحجاجية:

أولاً: تعريف الروابط الحجاجية وعواملها:

"تلعب الروابط والعوامل الحجاجية دوراً هاماً في الربط بين الأقوال أو بين الحجج هذا فيما يخص الروابط، أما العوامل فتعتبر من الروابط التي تعمل على حصر الحجج أو الأقوال ونفيها. الروابط الحجاجية (les connecteurs) والعوامل الحجاجية (les opérateurs) ؛ فالروابط تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح أو على (الأكثر)، وتسند لكل قول دوراً محدداً داخل الإستراتيجية العامة. ويمكن تمثيل الروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذا، لأن، بما أن، إذ....¹"

حيث أن الروابط والعوامل الحجاجية هي المؤشر الأساسي والبارز، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤثر له في بنية اللغة نفسها

وإذا كانت الروابط الحجاجية كثيرة في اللغة العربية، شأنها في ذلك شأن اللغات الطبيعية الأخرى، بحيث يمكن أن نذكر منها مايلي: بل، لكن، إذن، لاسيما، حتى، لأن، بما أن، إذ، إذا، الواو، الفاء، اللام، كي...الخ².

فالروابط الحجاجية "هي مكونات لغوية تداولية تربط بين قولين (أو أكثر) داخلين في إستراتيجية حجاجية واحدة بحيث تسمح بالربط بين المتغيرات الحجاجية (بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج) وهي صنفان:

• روابط مدرجة للحجج مثل: (لأن، لكن)

• روابط مدرجة للنتائج مثل: (إذا، أخيراً)

¹ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص 27.

² ، أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص 55.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

وعموماً فإن العلاقة بين الحجة والنتيجة ليست اعتباطية، بل هي ناجمة عن توجيه تحكمه المثبرات اللغوية الحجاجية"¹.

"إن الروابط الحجاجية تعمل على الربط بين قولين أو حجتين أو أكثر وتُسند لكل قول دوراً محدداً داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة، ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذا، لأن، بما أن، إذ"².

فالرابط هو "علامة لغوية تربط بين عمليتين لغويتين داخل القول الواحد، ونقول عن رابط إنه حجاجي إذا ما ربط بين عمليتين حجاجيتين، وأن عمل الحجاج يتمثل في إلقاء قول يعمل عمل الحجة. أما العوامل الحجاجية، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريباً، كاد، قليلاً، كثيراً، ما.... إلا"³.

العوامل الحجاجية "هي عناصر لغوية إسنادية نحوية أو معجمية، تربط بين مكونات القول الواحد، كالحصر والنفي والشرط... ووظيفتها هي حصر الإمكانيات الحجاجية لمحتوى الملفوظات وتحويلها، مثل صيغ (pou/presque) في اللغة الفرنسية"⁴.

ثانياً: تصنيف الروابط الحجاجية:

"تنقسم الروابط الحجاجية إلى الآتي:

- أ- روابط مدرجة للحجج: مثل: حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن ... إلخ.
- ب- روابط مدرجة للنتائج: مثل: إذن، لهذا، وبالتالي ... إلخ • ج- روابط التعارض الحجاجي: مثل: بل، لكن، مع ذلك ... إلخ .

¹ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 100.

² أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 55.

³ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ص 27.

⁴ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 100.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

• د- روابط التساوق الحجاجي: مثل: حتى، لاسيما ... إلخ¹.

أمثلة عن بعض الروابط الحجاجية:

• "الرابط الحجاجي لكن:

من حروف الاستدراك، ومعنى الاستدراك أن قلمي دوره الحجاجي حكماً لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها.²

ومثاله: زيد فتى نحيل وهزيل لكن شجاع وشديد.

وفي هذا المثال نلاحظ بأن الرابط الحجاجي (لكن)، ربط بين حجتين متعارضتين؛ حيث أن الحجة القبلية (زيد فتى نحيل وهزيل)، التي تؤدي لنتيجة (الضعف وعدم القدرة)، متعارضة مع الحجة البعدية (شجاع وشديد)، التي تؤدي لنتيجة ضمنية تتمثل في (القوة والقدرة على فعل شيء).

فالرابط الحجاجي (لكن) هنا جعل الحجة البعدية أقوى من القبلية، ونتيجتها هي الواجهة للخطاب القولي.

الرابط الحجاجي (الواو):

تتمثل وظيفة الرابط الحجاجي (الواو) في جمع بين قضيتين (حجتين) أو أكثر، ويعمل على ترتيبها، ووصل بعضها ببعضها الآخر، بل وتقوية كل حجة منها بالأخرى، وخلف الربط النسقي أحياناً.³

ومثاله: اجتهد زيد وراجع دروسه جيداً.

يتمثل الدور الذي لعبه الرابط الحجاجي (الواو) هنا في الربط بين الحجج، وإدراجها وترتيبها؛ حين ربط بين حجتين تمثلت الأولى في (اجتهد زيد)، والثانية تمثلت في (راجع دروسه جيداً)، لتوضح نتيجتها الضمنية المتمثلة في النجاح.

¹ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمد، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص 30.

² الحسن بن قاسم المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، بيروت، لبنان: (1413هـ/1992م)، ص 144.

³ رائد مجيد جبار، رسائل الإمام على نهج البلاغة، دراسة حجاجية، ط1، العراق: مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، (1438هـ/2018م)، ص 144.

2-4 القيم التداولية في الحجاج:

أولاً: العلاقة بين الحجاج والتداولية:

تعدّ العلاقة بين الحجاج والتداولية في نظرية أوزوالد ديكر "علاقة تكاملية تأسست على مفهوم التداولية المدمجة (La pragmatique intégrée) ، حيث لا يُنظر إلى الحجاج كعنصر خارجي يُضاف إلى الخطاب، بل كـ مكون أصيل في البنية الداخلية للغة"¹.

تتحدد دلالة الجملة عند ديكر من خلال "قيمتها الحجاجية (Valeur argumentative) "لا من خلال مطابقتها للواقع (الصدق والكذب). فالمقام أو ملابسات الكلام لا تأتي من خارج اللغة لتغير معناها، بل إن اللغة نفسها مبرمجة بنيوياً لاستقبال هذا المعنى وفقاً لملابسات إلقاء القول، وهو ما يجعل المكون البلاغي للغة جزءاً لا يتجزأ من مكوناتها اللسانية"².

ثانياً: ما قيل وما دُلَّ عليه.

يؤسس ديكر تمييزاً جوهرياً بين "ما قيل (le dit) "وهو البنية اللغوية الحرفية، وبين "ما دُلَّ عليه (le dire) وهو الاستنتاجات الحجاجية التي يوجهها القول نحوها. هذا التمييز يربط اللسانيات بالتداولية، حيث يشتغل الحجاج على كلا المستويين، محولاً الأبنية اللغوية إلى أفعال حجاجية تهدف إلى توجيه الخطاب"³.

3. آليات الحجاج اللساني التداولي عند ديكر.

3-1 التوجيه الحجاجي.

¹ جاك موشر وآن روبول، الحجاج في اللغة، ترجمة: مجموعة من الأساتذة (إشراف عز الدين المجذوب)، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص 230.

² جاك موشر وآن روبول، الحجاج في اللغة، ترجمة: مجموعة من الأساتذة (إشراف عز الدين المجذوب)، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص 97-98.

³ ، جاك موشر وآن روبول، الحجاج في اللغة، ترجمة: مجموعة من الأساتذة (إشراف عز الدين المجذوب)، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص 322.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

أولاً : مفهوم التوجيه الحجاجي.

"يُعدّ التوجيه الحجاجي خاصية جوهرية ملازمة للجملة واللغة؛ إذ لا تقتصر وظيفة الكلام على مجرد نقل معلومات مطابقة للواقع، بل تتجاوز ذلك لتكون وسيلة مقصودة يوجه من خلالها المتكلم المتلقي نحو استنتاجات محددة¹."

"ولا يُعتبر هذا التوجيه عنصراً خارجياً عن بنية القول، بل هو خاصية بنيوية تحدد معنى القول وتتحكم في مساره التداولي"².

وبناءً على هذا المسار، "ترتبط كل حجة بنتيجة واحدة أو أكثر، ويُقسم التوجيه الحجاجي وفق هذا الأساس إلى أنواع متعددة"³.

ثانياً: التوجيه الحجاجي ومبدأ التكافؤ الوصفي

"يُعدّ التوجيه الحجاجي خاصية جوهرية في اللغة؛" إذ إنّ الكلام لا ينقل معلومات محايدة، بل هو "خاصية من خصائص الجملة" التي تُحدد معنى القول وتتحكم في مساره التداولي⁴."

"ولا يقتصر هذا التوجيه على الأدوات اللغوية المباشرة، بل يتحقق بفاعلية من خلال "فعل الوصف"؛ حيث لا يعد الوصف مجرد نقل محايد لخصائص الموصوف، بل هو فعل محمّل بقيم تقييمية (أخلاقية أو جمالية) تفرض حكماً معيناً، مما يكشف عن ذاتية المتكلم وموقفه من الموضوع، وهو ما يجعل التوجيه عبر الوصف أداة دقيقة لخدمة "قصد المتكلم" وضمان نجاح عملية التواصل⁵."

3-2 تعدّد الأصوات (Polyphonie)

¹ باتريك شارودو ودومينيك منغنو، (2008)، ص 399.

² جاك موشر وأن روبول، (2010)، ص 377.

³ أمين بوشبوط، (2008)، ص 144.

⁴ جاك موشر وأن روبول، (2010)، ص 377.

⁵ محمد القاضي وآخرون، (2010)، ص 125.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

أولاً: تعريف تعدد الأصوات عند ديكرود

يُعدّ مصطلح "تعدد الأصوات" (La polyphonie) الركيزة الأساسية في اللسانيات التداولية عند أوزوالد ديكرود، وهو آلية لسانية تهدف إلى فحص البنى اللغوية للملفوظات بعيداً عن وهم "وحدة الذات المتكلمة" (le refus de l'unité du sujet parlant) "ففي نظر ديكرود، لا يُمثّل المتكلم (le locuteur) مصدراً أحادياً ومسؤولاً وحيداً عن أقواله، بل يعمل الملفوظ كحقل تتداخل فيه أصوات متعددة تُعرف بـ "المتلفظين" (les énonciateurs) "هؤلاء المتلفظون هم الذين يطرحون وجهات نظر مختلفة داخل الجملة الواحدة؛ حيث يقوم المتكلم بتوزيع هذه الأصوات وتوظيفها حاججياً، مما يجعل الخطاب مساحة حوارية (un espace dialogique) تتسم بتعدد وجهات النظر التي قد يتبناها المتكلم أو ينقدها أو يتصل منها. وبذلك، نجح ديكرود في نقل هذا المفهوم من سياقه النقدي الأدبي عند باختين إلى سياق لساني بنيوي يفسر كيفية تشكل المعنى وتوزيع المسؤولية داخل الخطاب"¹ (la structure argumentative du discours)

ثانياً: مستويات التعدد الصوتي في الملفوظ

يُقسّم ديكرود في «التعدد الصوتي والحجاج» التعدد الصوتي في الملفوظات إلى مستويات عدة. المستوى الأول هو تعدد الأصوات في الأقوال المنسوبة (discours rapporté)، وهو الأبسط والأوضح، إذ يستحضر المتكلم كلاماً قيل من قبل سواء أكان ذلك بالنقل الحرفي المباشر أم بالصياغة غير المباشرة. والمستوى الثاني هو تعدد الأصوات في الإضراب والاستدراك، ولا سيما في الجمل التي تحمل الرابط «لكن»، إذ يُمثّل الجزء الأول من الجملة صوتاً أولياً يتوجه نحو نتيجة معينة، بينما يُمثّل الجزء الثاني (ما بعد «لكن») صوتاً مغايراً أو مُصحّحاً يلغي التوجيه الحاججي الأول ويُقيم مكانه توجيهاً بديلاً.

والمستوى الثالث هو "تعدد الأصوات في الأسلوب الإنشائي، ولا سيما الاستفهام والتعجب والنفي. ففي النفي يرى ديكرود أن الجملة النافية تُحيل إلى صوتين: الأول يُقرّر بالإيجاب ما يُنفيه الثاني. فقولنا «ما جاء أحد» لا يُلغي الإيجاب «جاء شخص ما» بل يستدعيه ضمناً وينفيه. وهذا يجعل الجملة النافية خطاباً حوارياً في الأصل —رداً على صوت يُقرّر أو يُتوقع أن يُقرّر— لا ملفوظاً أحادياً محايداً. ولا يُخفي ما لهذا

¹ فالح عبد الله شلاهي ومؤيد آل صوينت، "نظرية التعدد الصوتي في البلاغة الجديدة (أوزوالد ديكرود أنموذجاً)"، مجلة كلية التربية، جامعة

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

التحليل من أثر بالغ في دراسة الخطاب القرآني الكريم وغيره من الخطابات الحجاجية التي تتهل من أسلوب النفي والإنكار بصورة واسعة¹ .

3-3 الافتراض المسبق (La Présupposition)

أولاً: مفهوم الافتراض المسبق ومنزلته في نظرية ديكر

"يُعدّ الافتراض المسبق (présupposition) من إحدى الركائز الأساسية في الدراسات التداولية، حيث يضطلع بدور جوهري في تفسير آليات التخاطب وضمان فهم المتكلمين لبعضهم البعض، رغم ما قد يعتري الجمل والعبارات من غموض ظاهري. فالتكلم، أثناء تواصله، لا يصرح بكل المعطيات، بل يضمّر جزءاً منها ويفترض أنها معلومة مسبقاً لدى المخاطب، فيما يُعرف بـ الخلفية التواصلية² وتعد هذه الخلفية "معارف ضمنية متفقاً عليها بين المشاركين في العملية التخاطبية، وهي ضرورية لنجاح التواصل؛ إذ ينتج الافتراض المسبق تلقائياً مع صياغة القول دون أن يشكل بالضرورة موضوعاً مباشراً للخطاب³"

وقد أوضحت الباحثة أوريكيوني في سياق تداولي مع طروحات ديكر أن هذه الافتراضات تصنف ضمن المعلومات التي لا تُقرر جهرًا، بل تظل مدسوسة في بنية الملفوظ، مما يفسح المجال للمتلقّي لاستعادة هذه المعاني دون حاجة لصياغتها صراحة

ثانياً : لافتراض المسبق والخطاب الحجاجي⁴

ويتجلى الأثر الحجاجي للافتراض المسبق في "أنه يُرسّخ في الوعي التداولي للمتلقّي معلومات لم تُقل صراحةً، وهو ما يجعل دحضها أمرًا عسيرًا. فالمتلقّي الذي يتلقّى خطابًا مُشبعًا بالافتراضات المسبقة يجد نفسه أمام منظومة من المسلّمات التي يُفترض فيها الاتفاق حتى في غياب الدليل الصريح. وهذا ما استثمره

1 أوزوالد ديكر، القول والملفوظ، ترجمة: د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 2000، ص. 45-50

² ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلّفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، ط2، ص 136.

³ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 31.

⁴ سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص118.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

الخطاب الإعلاني والسياسي والديني على نحو واسع، إذ نجح في إدراج أيديولوجيات ومواقف بعينها في ثنايا الخطاب بوصفها بديهيات لا محل للجدال فيها".

وقد طوّر علماء اللغة النصية والتداولية هذا المفهوم تطويراً خصبياً في تحليل الخطاب. "يقول سعيد حسن بحيري في «علم لغة النص»: «الافتراض المسبق هو أحد أهم مستويات ضمنية الخطاب، ويُعدّ عنصراً حاسماً في تشكيل البنية الحجاجية للنص، لأنه يُوجّه الاستيعاب ويُحدّد أطره قبل أن يُقدّم المتلقي على أي تقييم نقدي». وفي ضوء هذا التوصيف يتضح كيف أن الافتراض المسبق يعمل كـ«حجة مُدرّجة» في الخطاب تسبق الحجج الصريحة وتُهيئ لها أرضية قبولية مُسبقة في ذهن المتلقي".

ويتجلى توظيف الافتراض المسبق في العربية بصورة واسعة في ظاهرة «حكاية الحال» وأسلوب التقرّيع والتوبيخ وأسلوب الاستفهام الإنكاري. فحين يقول القرآن الكريم مثلاً: «أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ»، فإن هذا الاستفهام الإنكاري يفترض مسبقاً أن عبادة ما لا يؤثر قبْح يُدرك بالبداهة العقلية، وعليه يُوجّه الاستفهام نحو نتيجة إنكارية من غير حاجة إلى برهان تفصيلي. وهذا التوظيف الحجاجي للافتراض المسبق هو مما يُضفي على الخطاب القرآني إيجازاً بليغاً مع أثر إقناعي عميق" 1.

3-4 الأفعال الكلامية والحجاج

أولاً : نظرية الأفعال الكلامية . الأرضية النظرية

تُعد الأفعال الكلامية (Speech Acts) في المنظور التداولي " منظومة لغوية معقدة تتجاوز الوظيفة الإخبارية للغة لتصل إلى مرحلة الإنجاز الفعلي عبر القول؛ حيث يرى أقطاب هذه النظرية، وعلى رأسهم جون أوستن وجون سيرل، أن اللغة ليست مجرد أداة لنقل المعلومات، بل هي وسيلة لتحقيق أفعال واقعية. وتتحدد بنية الفعل الكلامي في ثلاثة مستويات متداخلة: الفعل التلفظي (الإنتاج المادي للجملة)، والفعل

1 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 204.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

الإنجازي (القوة التأثيرية والغرض من القول)، والفعل التأثيري (الاستجابة الناتجة عن المتلقي). ولضمان نجاح هذه الأفعال، لا بد من توافر شروط أساسية أهمها الوضوح اللغوي والمصادقية inside السياق المناسب¹. وفي هذا السياق، "تتماشى هذه الرؤية مع الطرح التداولي لأوزوالد ديكر، الذي يؤكد أن الملفوظ يحمل في طياته، إلى جانب البعد الإنجازي، طبقات صوتية متعددة (البوليفونية) تساهم في توجيه القوة الحجاجية للفعل الكلامي وتحديد مواقف المتلفظين الغائبين داخل بنية الملفوظ ذاتها²".

¹ عبد الحليم عمر، "الأفعال الكلامية: منظومة التواصل اللغوي المعرفي"، منشورات صفحة التداولية بين يديك، 29 نوفمبر 2024، مادة رقمية.

² أوزوالد ديكر، القول والملفوظ، ترجمة: د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 2000، ص. 45.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

ثانيا : توظيف ديكروللأفعال الكلامية في نظريته الحجاجية¹

يستثمر ديكرولنظرية الأفعال الكلامية في سياق نظريته الحجاجية التداولية، "غير أنه يُعيد صياغة بعض مفاهيمها لتتسجم مع مشروعه. فقد لاحظ ديكرولفي «ما قيل وما دُلَّ عليه» أن الأفعال الكلامية ليست مُحايِدة من الناحية الحجاجية، بل إن كل صنف منها يُضفي على الملفوظ طاقةً إقناعيةً خاصةً. فالإخبار يُقدِّم حجةً على صحة مضمونه، والأمر يُشكِّل إلزامًا حجاجيًا تكليفيًا، والاستفهام يستحضر توقع إجابة ويخلق بذلك ديناميكيةً حجاجيةً تُلزم المُستفهم بالجواب أو بتبرير صمته " .

ومن أبرز ما طوّره ديكرولفي هذا الإطار تمييزه بين الفعل الكلامي المباشر والفعل الكلامي غير المباشر من منظور حجاجي. "فالفعل الكلامي المباشر يُلزم المتلقي إلزامًا حجاجيًا حرفيًا تقريبًا، في حين أن الفعل الكلامي غير المباشر يُوجِّه الحجاج عبر القصد الضمني للملفوظ، مما يُضاعف فعاليته الإقناعية في حالات كثيرة. فقولك لضيفك «إن المطعم الفلاني لا يزال مفتوحًا حتى منتصف الليل» قد يكون فعلًا كلاميًا غير مباشر يُوجِّه حجاجيًا نحو اقتراح تناول الطعام خارجًا، دون أن تُصرِّح بذلك"² .

وفي ضوء الفكر اللساني العربي المعاصر، يتجلى الاهتمام بالبُعد الحجاجي للأفعال الكلامية في دراسات متعددة تناولت أساليب الإنشاء العربي من منظور تداولي. "فقد تناول خالد ميلاد في «الإنشاء في العربية» الأساليب الإنشائية الطلبية (الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء) بوصفها أفعالًا كلامية ذات طبيعة حجاجية، مُبيِّنًا كيف أن كل أسلوب منها يُشكِّل استراتيجيةً حجاجيةً مُحددةً. وقد أفاد ميلاد من نظرية ديكرولفي تفسير آليات الحجاج الطلبي في العربية، كاشفًا عن وجود تناظر عميق بين ما وصفه ديكرولفي اللغة الفرنسية وما تُقدِّمه العربية في منظومة الأساليب الإنشائية"³ .

1 محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص108.

2 عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص139.

3 حمادي صمود (إشراف)، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص121.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي

ثالثاً : تكامل الآليات الحجاجية في الخطاب

وختاماً لهذا المبحث، لا بد من الإشارة إلى أن الآليات الحجاجية الأربع التي استعرضناها —التوجيه الحجاجي، وتعدد الأصوات، والافتراض المسبق، والأفعال الكلامية— لا تعمل في الخطاب الفعلي بصورة معزولة عن بعضها البعض، بل إنها تتصافر وتتشابك في بناء حجاجي واحد متكامل تتعزز فيه كل آلية بالأخرى. فالتوجيه الحجاجي يُحدد الاتجاه الاستنتاجي العام، وتعدد الأصوات يُعمّق بنية الخطاب ويُضفي عليه بُعداً حوارياً، والافتراض المسبق يُمهّد لقبول الحجج الصريحة بتهيئة الأرضية القبولية في ذهن المتلقي، والأفعال الكلامية تُحدّد طبيعة الإلزام الحجاجي المُتضمّن في كل ملفوظ.

وهذا التصافر بين الآليات هو ما يُميّز نظرية ديكر و يجعلها نظريةً شاملةً قادرةً على تفسير أبعاد الخطاب الحجاجي في مختلف مستوياته اللغوية والتداولية والمعرفية. ولعلّ أهم ما تُقدّمه هذه النظرية للدراسة اللسانية هو أنها تُكسر الوهم التقليدي القائل بأن الحجاج ظاهرة خارجية تُضاف على اللغة في مواقف الجدل والمناظرة وحدها، لتؤكد بدلاً من ذلك أن اللغة في أدنى استعمالاتها وأبسط تراكيبها هي خطاب حجاجي يُؤثر ويؤجّه ويلزم، سواء أدرك المتكلم ذلك أم غفل عنه. وهذا الإدراك العميق لطبيعة اللغة هو ما يُجعل من أعمال ديكر ومنطلقاً لا غنى عنه لأي دراسة تسعى إلى فهم الظاهرة الحجاجية في أبعادها الحقيقية الكاملة .

خلاصة الفصل

يتضح مما استعرضناه في هذا الفصل أن الإطار النظري للحجاج اللساني التداولي عند ديكر و يرتكز على منظومة مفاهيمية متماسكة ومتكاملة، تجمع بين الدقة اللسانية في تحليل العلامات اللغوية، والعمق التداولي في مقارنة الاستعمال الخطابي. فمن خلال مفهوم السلم الحجاجي، يُثبت ديكر وأنسكومبر أن الحجج تُنظَّم في الخطاب تنظيمًا تدرجيًا يُحكم بناءه الإقناعي. ومن خلال الروابط الحجاجية، يُبينان كيف أن الوحدات الرابطة في اللغة هي في جوهرها وحدات حجاجية توجيهية. ومن خلال التوجيه الحجاجي، يُثبتان أن كل ملفوظ يحمل توجيهات استنتاجية مُدرجة في بنيته الدلالية. ومن خلال تعدد الأصوات، يكشفان عن البُعد الحوارى الأصل في كل خطاب لغوي. ومن خلال الافتراض المسبق والأفعال الكلامية، يوضّحان الكيفية التي تُدرج الخطابات الحجاجية ضمن السياقات الاجتماعية والتواصلية لتُنتج تأثيرها القصدي.

وإن هذا الإطار النظري الشامل هو الذي سيُشكّل المرجعية المنهجية للتحليل التطبيقي في الفصول اللاحقة، إذ سيُعاد توظيف هذه المفاهيم والأدوات في مقارنة الخطاب المُختار تحليلًا يُجَلّي طبيعته الحجاجية وآليات اشتغاله التداولي.

الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام

تُعدّ سورة الأنعام من أكثر السور القرآنية ثراءً بالأساليب الحجاجية ، إذ إنها نزلت في بيئة عقديّة وفكرية بالغة التعقيد، تتشابك فيها تحديات الشرك واحتجاجات المشركين وتساؤلات الريب وإصرار الجحود. ومن ثمّ جاء الخطاب القرآني في هذه السورة مُشحوناً بطاقة حجاجية هائلة تستدعي الدراسة الدقيقة لكشف آلياتها وتجليّ وظائفها وفهم سرّ تأثيرها. وقد اصطفى هذا الفصل ثلاثة مستويات رئيسية من الآليات الحجاجية لدراستها في هذه السورة العظيمة: الآليات اللغوية التركيبية، والآليات البلاغية، والآليات التداولية التواصلية.

وتُشكّل هذه الآليات الثلاث منظومةً متكاملةً يُسهم كل مستوى منها بقدرٍ من الفاعلية الحجاجية في سياق بنیان خطابي واحد مُحكم. فالمستوى اللغوي يشغل على بنية الجمل وأسلوبها من خبر وإنشاء وتوكيد ونفي لبناء الأساس الحجاجي. والمستوى البلاغي يُضفي على الحجة عمقاً وحيويةً من خلال الصور والتكرار والمقابلة. أما المستوى التداولي فيُضبط العلاقة بين الخطاب ومتلقيه في ضوء المقام والسياق وطبيعة المخاطب وفاعلية الأفعال الكلامية. وهذا التعاضد بين المستويات هو سرّ عمق الأثر الحجاجي في سورة الأنعام.

وقبل الدخول في التفصيل، تجدر الإشارة إلى أن الدراسة التحليلية لا تسعى إلى استيعاب كل آيات السورة البالغة مئة وخمسة وستين آية، بل تنتقي منها نماذج ممثلة لكل آلية حجاجية، مستعرضة الآيات في سياقها الموضوعي وعلاقاتها التركيبية والبلاغية والتداولية. وفي هذا السياق تعتمد الدراسة على جملة من المراجع التفسيرية الكلاسيكية كابن عاشور والزمخشري والرازي وأبي حيان والطبري وابن كثير وسيد قطب، فضلاً عن مراجع بلاغية وحجاجية معاصرة تُعين على استجلاء الأبعاد الحجاجية للنص .

1. الآليات اللغوية في سورة الأنعام

1.1 الحجاج بالأسلوب الخبري

أولاً : مفهوم الأسلوب الخبري وطبيعته الحجاجية

الأسلوب الخبري هو الأسلوب الذي يُصاغ فيه الكلام إخباراً بشيء يحتمل الصدق والكذب في ذاته، بصرف النظر عن موقف المتكلم منه صدقاً أو كذباً. وقد ظل هذا الأسلوب في التقسيمات اللغوية التقليدية يُقرن بالوظيفة الإخبارية المحايدة التي لا تعدو نقل المعلومات. غير أن الدراسات الحجاجية الحديثة أثبتت أن الأسلوب الخبري —بمختلف صيغه وتنوعاته— يحمل في طياته قوة إقناعية بالغة، وأن الخبر لا يُبلَّغ أبداً في الخطاب الطبيعي من غير غاية تواصلية وحجاجية. وفي سورة الأنعام يتجلى هذا البُعد الحجاجي للأسلوب الخبري في كل موضع تقريباً، لأن الله سبحانه يُخبر بما هو يقين مطلق في مقابل ما يزعمه المشركون مما هو ظن وجعل وضلال¹.

ومن أبرز ما ينبغي استيعابه منهجياً في هذا الإطار أن الخبر القرآني يختلف جوهرياً عن الخبر البشري في مرتبة يقينه وقوة حجّيته، وذلك لأن مصدره الإلهي يمنحه حجية غير قابلة للنقض. وقد نبّه ابن عاشور في تفسيره إلى هذه الخصوصية مُشيراً إلى أن الأخبار في سورة الأنعام تؤدي وظيفة حجاجية مزدوجة: فهي تقرير حقيقة في حد ذاتها، وهي في الوقت ذاته دحض ضمني لما يُضاده من الباطل الذي تؤمن به مخاطبات الخطاب الأول. وهذا الطابع المزدوج —الإثبات والدحض في آن واحد— هو ما يُعلي من قيمة الأسلوب الخبري في الحجاج القرآني².

1 ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م، ج7، ص5.

2 سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط7، 1412هـ، ج2، ص1035.

ثانياً: الجملة الاسمية وحجاجية الثبات والديمومة

تتصدر سورة الأنعام بجملة اسمية ذات طابع حجاجي بالغ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الآية 1). وتُقدّم هذه الجملة الاسمية الكبرى حقيقةً عقديّة ثابتة لا متحوّلة: أن الحمد المطلق ملكٌ لله الخالق وحده دون غيره، وذلك بأسلوب خبري يُفيد الثبوت والديمومة التي هي خاصية الجملة الاسمية في البلاغة العربية. فالحمد —معرفاً بـ(أل) الجنسية الاستغراقية— يدل على أن كل حمد من أي حامد في أي زمان ومكان هو لله وحده. وهذه الدلالة الاستغراقية تُشكّل في حد ذاتها حجةً ناقضةً لكل ادعاء بأن غير الله جدير بالعبادة أو الحمد¹.

ويُعلّق الزمخشري على هذه الآية تعليّقاً يكشف بُعدها الحجاجي فيقول: «وفي تصدير السورة بالحمد وإضافته إلى الله وبيان استحقاقه له بوصف خلق السماوات والأرض —إلى آخر ما ذكر— إيذانٌ بأن من هذه صفاته وهذا شأنه هو المستحق للعبادة دون ما سواه». وبعبارة أخرى، فإن الجملة الاسمية الافتتاحية لا تكتفي بالإخبار بل تُضمّن الحجة في طياتها: «من يخلق السماوات والأرض هو المستحق للعبادة والحمد، والله هو خالق السماوات والأرض، إذن الله هو المستحق للعبادة والحمد دون غيره». وهذا بناء قياسي مُضمّر في الجملة الاسمية الواحدة دون أن يُصرّح به².

وتمتد هذه الطريقة في توظيف الجملة الاسمية لأداء وظيفة حجاجية في مواضع متعددة من السورة، من بينها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ (الآية 165). فالإسناد الاسمي في صدر الآية ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾ يُفيد القصر والتخصيص، أي أن الذي أعطاكم هذه

1-الزمخشري، محمود بن عمر، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، ج2، ص3.

2-ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج7، ص7.

الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام.

المكانة هو الله وحده، وهو بالتالي أولى بالعبادة والشكر والامتنان ممن لم يمنحكم شيئاً. وفي هذا ردّ حجاجي ضمنى على من يُشرك معه في العبادة ما لم يخلق ولم يعط ولم ينعم 1 .

ثالثاً: الجملة الفعلية وحجاجية التجدد والحدوث

في مقابل الجملة الاسمية التي تُفيد ثبوت الحقيقة ودوامها، تُوظّف سورة الأنعام الجملة الفعلية توظيفاً حجاجياً آخر يركز على معنى التجدد والحدوث والتواتر. فالأفعال المضارعة تُرسّخ في ذهن المتلقي أن ما نُخبر به ليس حادثة فردية منقضية بل عملية مستمرة لا تنقطع. وخير مثال على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ تُفيد الاستمرار والتجدد، وهو ما يُعزز الحجة على القدرة الإلهية المتجددة الحاضرة في كل لحظة 2 .

ويتضمن هذا الأسلوب ما يُسميه الحجاجيون «الحجة بالمشاهدة» أو «الاستدلال بالمحسوس»، إذ إن الإخراج المتجدد للحَيِّ من المَيِّتِ وللَمَيِّتِ من الحَيِّ هو حقيقة يُدركها كل إنسان بحواسه في كل يوم. وعليه تكون الحجة مبنيةً على معطى حسي لا يُمكن إنكاره، ثم تنتقل إلى الاستنتاج العقدي الذي يُنكره المشركون. وهذا الانتقال من المُشاهد إلى المعقول هو جوهر ما يُسمى في البلاغة الحجاجية «الاستدلال الاستقرائي بالشواهد الواقعية». ولا يُغفل هنا قوله سبحانه في ختام الآية: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ وهو استفهام إنكاري يُلخّص النتيجة الحجاجية: كيف تُصرفون عن الحق بعد هذه البينة؟ 3

وعلى صعيد آخر، يُوظّف الأسلوب الخبري الفعلي في سورة الأنعام لرصد مصير الأمم الغابرة وتقديمه حجةً تاريخية إنذارية، كما في قوله تعالى: ﴿الْمَيرُوا كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا

1- الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، ج13، ص9.

2 عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص157.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج7، ص198.

حجاجيًا مفتوحًا لكل ذي عقل. وقد أشار الرازي في «مفاتيح الغيب» إلى أن ترتيب النباتات في هذه الآية ليس عشوائيًا بل هو ترتيب تصاعدي يُعزز الأثر الحجاجي¹.

1-2 الحجاج بالأسلوب الإنشائي

أولاً: تعريف الأسلوب الإنشائي ووظيفته الحجاجية:

الأسلوب الإنشائي هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ إذ لا يصف حالة قائمة بل يُنشئ بالنطق به فعلاً جديداً في الواقع التواصل. وقد قسّمه البلاغيون العرب إلى طلبي — يشمل الاستفهام والأمر والنهي والنداء والتمني — وغير طلبي. وما يعنينا في هذا السياق هو الطاقة الحجاجية الهائلة المُخترنة في أساليب الإنشاء الطلبي في سورة الأنعام، إذ وُظِّفت هذه الأساليب توظيفاً تحاورياً واستفزازياً بالمعنى الإيجابي لكلمة «الاستفزاز»، أي إثارة العقل ودفعه إلى التفكير والمراجعة².

وتجسّد سورة الأنعام أعلى درجات التوظيف الحجاجي لأساليب الإنشاء، وهو ما يدفع كثيراً من الباحثين إلى وصف الخطاب القرآني في هذه السورة بأنه «خطاب جدلي بامتياز». وقد أحصى بعض الدارسين عدداً كبيراً من الاستفهامات في هذه السورة وحدها تفوق ما في كثير من السور الأخرى، وهو مؤشر رقمي على مدى اعتماد السورة على الأسلوب الإنشائي أداة حجاجية رئيسية³.

ثانياً : الاستفهام ودوره الحجاجي:

يُعدّ الاستفهام من أقوى الأساليب الحجاجية في القرآن الكريم عامةً وفي سورة الأنعام خاصةً، وذلك لأنه يضع المتلقي في موضع المُساءل الذي عليه أن يُجيب، فيُجبره على التفكير ومراجعة موقفه. وتتنوع وظائف الاستفهام الحجاجي في سورة الأنعام تنوعاً غنياً، ولعل أبرز هذه الوظائف⁴:

1 خالد ميلاد، الإنشاء في العربية، مرجع سابق، ص 89.

2 خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001م، ص 35.

3 عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 167.

4 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، مرجع سابق، ص 309.

أ) الاستفهام الإنكاري: وهو أكثر أنواع الاستفهام توظيفاً في السورة، وهو الذي يُصاغ بصيغة السؤال لكنه في حقيقته نفْي قاطع يستلزم التسليم بنقيض المسؤؤل عنه. ومن أوضح أمثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الآية 14). فالاستفهام هنا ليس طلباً للإخبار بل هو إنكار حاسم لاتخاذ وليٍّ غير الله. وما يُعزز الأثر الحجاجي لهذا الاستفهام هو ما اقترن به من وصف ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الذي يُقدّم الدليل على استحقاق الله للولاية دون سواه: فالفاطر المنشئ هو المستحق للعبادة والولاء 1 .

ب) الاستفهام التقريري أو التعجبي: وهو الاستفهام الذي يدعو المتلقي إلى إقرار حقيقة بديهية كان يُفترض فيه معرفتها أو الاعتراف بها. ومثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنَكُمْ﴾ (الآية 19). فالسؤال ﴿أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ يستدعي من المشركين الإقرار بأن لا شاهد أكبر من الله، وهو ما يلزمهم بقبول رسالة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يشهد له الله. ويلاحظ هنا أن السؤال يتضمن إجابته في ذاته إجابة لا يستطيع العقل السليم إنكارها، وهو ما يُسميه البلاغيون «الإنجاز الحجاجي المُضمَر في السؤال 2».

ج) الاستفهام التحذيري والإلزامي: وهو الاستفهام الذي يُريد المتكلم به إلزام المخاطب بالحجة من موقف اضطراري، حيث يُطرح السؤال بصورة تجعل الإجابة عنه شهادة تُلزمه بنتيجة يرفضها. ومثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الآية 40). ففي هذا الاستفهام يُستحضر سيناريو الأزيمة القصوى (العذاب أو الساعة) ليؤضع المشركون أمام تساؤل يكشف تناقضهم: إنهم في أوقات الشدة يلجؤون إلى الله وحده، مما يدل على أنهم يعلمون في قرارة

1 الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج2، ص19.

2 الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج13، ص148.

الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام.

أنفسهم أنه وحده القادر على النجاة. وهو استفهام يستخرج الاعتراف الضمني بالحقيقة التوحيدية من داخل المخاطب ذاته¹.

وعلى صعيد أشمل، يُلاحظ المتأمل في الاستفهامات القرآنية في سورة الأنعام أنها في أغلب أحوالها تُعمل على مستوى ما يُسميه الحجاجيون «الحجة بالقياس المُضمَر (Enthymème)»، أي القياس الذي تُذكر فيه مقدمة واحدة أو نتيجة واحدة ويُترك للمتلقي استكمال المنطق بنفسه. وهذا التوظيف يجعل المتلقي شريكاً في بناء الحجة ويُضاعف من تأثيرها لأنه يلزمه من الداخل لا من الخارج².

ثالثاً: الأمر ووظيفته الحجاجية في السورة:

يُوظف الأمر في سورة الأنعام بصورة لافتة، وقد تنوعت وظائفه الحجاجية في الخطاب بحسب المقام والسياق. فالأمر المُوجّه من الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم بصيغة «قُلْ» —التي تتكرر في هذه السورة بكثافة لافتة— يُضطلع بوظيفة حجاجية محددة: إقامة الحجة على المشركين بصوت النبي الموثق بالأمر الإلهي المباشر. فحين يقول الله ﴿قُلْ﴾ ثم يُبلغ ما بعدها، فإن النبي لا يُقدّم رأيه الشخصي بل يُبلغ وحيّاً إلهياً، وهو ما يُضفي على الحجة قوة لا تضاهيها قوة³.

ومن أبرز توظيفات الأمر الحجاجي في سورة الأنعام الأمر بالتأمل والنظر، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَمَرَ بِالنَّظَرِ وَالْأَمْرِ بِالْأَمْرِ﴾ (الآية 99)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الآية 101). فهذا الأمر بالنظر والتأمل ليس مجرد توجيه أخلاقي، بل هو استراتيجية حجاجية تدعو المُخاطب إلى مصدر الدليل ليستخرج بنفسه نتيجته. فبدلاً من أن يُقال «الله واحد قادر» تُشير الآية إلى الكون

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج7، ص213.

2 حمادي صمود (إشراف)، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، مرجع سابق، ص133.

3 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص218.

الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام.

وتقول: «انظر وتأمل واستنتج بنفسك». وهذا الأسلوب يجعل المتلقي يصل إلى النتيجة بعقله فيؤمن بها إيماناً أرسخ مما لو لُقِّنها تلقيناً¹.

كذلك يأتي الأمر في سورة الأنعام بصيغة الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بإعلان موقفه ومسلكه بصراحة وجراحة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَىٰ رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الآية 161). فهذا الأمر بإعلان الموقف يؤدي وظيفة حجاجية تتجلى في الوقوف المعلن أمام الخصوم والمطالبة الضمنية بالرد أو التسليم. ويُشبهه هذا ما يُسمى في نظرية التداولية «فعل التأكيد الحجاجي (Assertif argumentatif)» الذي يلزم المتلقي بالتعليق والموقف ولا يتيح له التغافل².

رابعاً: النهي ودوره في الحجاج

النهي في سورة الأنعام لا يكتفي بالمنع المجرد بل يُصاحَب في أغلب أحيانه بالتعليل والحجة، وهو ما يُحوِّله من أمر سلطوي إلى موقف حجاجي مُبرهن. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الآية 108). فالنهي ﴿لَا تَسُبُّوا﴾ مُعلَّل بنتيجة تداولية واقعية (سيسبُّون الله)، مما يجعل الانتهاء عن السب دفاعاً حكيماً لا استجابةً للمسبوبين. وفي هذا النهي أبلغ حجاج على منهج التعامل مع المخالفين: لا بالسب والإهانة بل بالتعليم والإقناع³.

كما يأتي النهي في سياق تشريعي حجاجي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ أُولَٰئِكَ مِن مِّمَّا لَقِيَ النَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الآية 151). فالنهي هنا مصحوبٌ

1 الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج2، ص41.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج7، ص261.

3 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص252.

بالحجة المعللة التي تُزيل العذر الظاهر للشرك (الخوف من الفقر) بتقرير أن الرزق من الله لا من الإنسان. وبذلك يجمع النهي بين الحكم التشريعي والبرهان العقدي في جملة واحدة وجيزة. وقد أشار ابن عاشور إلى هذا الجمع بين الحكم والعلة في آيات الوصايا الكبرى في السورة ذاتها (الآيات 151-153) مؤكداً أن هذا النمط هو ما يُميز الوصايا القرآنية عن المنع الجاف الخالي من الحجة¹.

1-3 أدوات التوكيد والنفي ودورها الحجاجي

أولاً: أدوات التوكيد والحجاج في سورة الأنعام

يُعَدُّ التوكيد من الأدوات اللغوية الجوهرية في الخطاب الحجاجي، لأنه يُعبّر عن موقف المتكلم من قضيته وعن درجة التزامه بصحتها في مواجهة من يشك فيها أو ينكرها. والتوكيد في المنظور التداولي ليس ظاهرة تكرارية مجردة بل هو استراتيجية خطابية تُعالج الحالة النفسية للمتلقي وتُعيد تأطير توقعاته تجاه ما يُقال. وفي سورة الأنعام تتنوع أدوات التوكيد تنوعاً غنياً، من بينها: «إِنَّ»، و«لَا» الابتداء والقسم، و«قد»، و«نون التوكيد»، و«التوكيد بضمير الفصل²».

وأبرز ما يلاحظ في توظيف «إِنَّ» في سورة الأنعام أنها تُوظف في المواضع التي يُتوقع فيها الإنكار أو الشك، فتكون أداة لدفع الشك والتشكيك قبل وقوعه. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ (الآية 95)، وقوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ (الآية 36). فـ«إِنَّ» في الأولى تُؤكّد الحقيقة الكونية في مقابل من يجهلها أو ينكرها. أما «إنما» في الثانية فهي أداة توكيد وقصر معاً، إذ تقصر الاستجابة على من يستمع حقاً، مُتضمنةً حجةً مضمرة على فشل المشركين في الاستجابة لكونهم لا يسمعون سماعاً حقيقياً³.

1 الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج2، ص107.

2 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، مرجع سابق، ص284.

3 الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج2، ص86.

ومن أبرز توظيفات أدوات التوكيد الحجاجية في السورة القسم الذي ينطوي على أقوى درجات التوكيد في اللغة العربية. وقد ورد في سورة الأنعام قسم صريح في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (الآية 109)، حيث يُقابل القسم الباطل للمشرّكين بحجة قاطعة: الآيات ملكٌ لله يُنزلها متى شاء لا متى طلبوا. ويُلاحظ هنا أن الرد الحجاجي يأتي بأداة القصر «إنما» وهي توكيد حجاجي يُلغي مفعول قسمهم ويُعيد تأطير المسألة 1 .

ثانياً: أدوات النفي وبعدها الحجاجي

يُقيم النفي في سورة الأنعام وظيفةً حجاجيةً مزدوجة: نفي الباطل من جهة، وإثبات الحق من جهة أخرى. وقد أشار ديكر في نظريته إلى أن الجملة النافية تحمل بنية صوتية ثنائية: (polyphonie) صوت يُقرّر ما ينفيه المتكلم وصوت ينفيه، مما يجعل النفي ذا طبيعة حوارية ردّ. وهذا ما يُفسّر الاستخدام الكثيف للنفي في السور التي تُجادل المشركين كسورة الأنعام 2 .

ومن أجلى نماذج الحجاج بالنفي في السورة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الآية 111). فـ«ما» النافية هنا تُحمل حجةً متشعبة: لو تحقق المطلوب المحال (نزل الملائكة وكلام الموتى) لما أجدى نفعاً مع من ختم الله على قلبه. وهذا النفي في سياق الشرط المحال (لو) يُوجّه الخطاب نحو نتيجة حجاجية ثقيلة: أن عناد المشركين ليس لغياب الدليل بل لغياب الإرادة الحقيقية للإيمان .

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج7، ص198.

2 حمادي صمود (إشراف)، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، مرجع سابق، ص133.

3 الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج13، ص148.

وتتجلى وظيفة نفى الصفات عن غير الله بصورة بارزة في قوله تعالى: ﴿

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ﴾

(الآية 50). فسلسلة النفي الثلاثي هنا تُشكّل حجةً رافضةً للتهمة الباطلة التي قد يُوجهها المشركون أو لتوقعاتهم المرفوضة، وفي الوقت ذاته تُقدّم البديل الإيجابي: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾. وهذا الجمع بين النفي والإثبات في جملة واحدة هو نمط حجاجي يُعرف بـ«التصحيح الحجاجي (correction argumentative)»، حيث ينفي المتكلم الادعاء الخاطئ ويُعيد تأطير موقفه الصحيح¹.

وللنفي أيضاً وظيفة إلزامية حجاجية تُبرز في مواضع من السورة يُنفى فيها ما يُعلمه المتلقي ويُقرّ به ضمناً. فقوله تعالى: ﴿وَمَهْدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ (الآية 91)، يتضمن حجةً من نوع مختلف: فنفي قدر الله من المشركين يُقدّم دليلاً على جهلهم وتناقضهم مع ما يعرفونه من تاريخهم الديني ذاته. وهذا النفي يُشكّل مقدمةً حجاجية تُوجّه نحو نتيجة: «من لا يعرف قدر الله حق معرفته لا يُؤخذ بحكمه في الدين²». »

2. الآليات البلاغية

2-1 التشبيه والاستعارة ودورهما في الحجاج

أولاً : العلاقة بين الصورة البيانية والحجاج

1 الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج2، ص86.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج7، ص261.

الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام.

دأب البلاغيون الكلاسيكيون على الفصل بين الوظيفة الجمالية للصور البيانية ووظيفتها الإعلامية، في حين كشفت الدراسات الحجاجية الحديثة أن هذه الصور تحمل في جوهرها طاقةً إقناعيةً ذاتية لا تقل أهميةً عن الطاقة الجمالية. وقد أكد بيرلمان وأولبريشت-تيتيكا في «معالجة في الحجاج» أن الاستعارة والتشبيه ليسا زينةً أدبية بل «حججاً ضمنية» تعمل على إقناع المتلقي بتقريب المجهول من المعلوم وإضفاء مشروعية على الادعاء عبر آليات التشابه والتمثيل. وفي سورة الأنعام يتجلى هذا البُعد الحجاجي للصور البيانية في نماذج بالغة الدقة والإتقان¹.

ويُبين عبد القاهر الجرجاني في «دلائل الإعجاز» أن التشبيه والاستعارة في الخطاب الحجاجي يُؤديان وظيفة ما أسماه «الملاءمة بين الحكم وأصله»، أي أنهما يستدعيان من المتلقي الاعتراف بتشابه بين شيئين يُلزمه بقبول الحكم الذي يُقاس عليه. وهذا هو جوهر ما يُسمى في المنطق بـ«القياس» أو «التمثيل»، وهو من أعمق وظائف الحجاج في الخطاب الطبيعي².

ثانياً : التشبيه وبعده الحجاجي في السورة

يُشكّل التشبيه في سورة الأنعام أداةً حجاجيةً بارعة تُقرب الحقيقة المجردة من ذهن المتلقي الذي قد يعجز عقله عن استيعابها في صورتها الخالصة. ومن أعظم ما جاء في السورة من تشبيه حجاجي، التشبيه الضمني المضمن في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الآية 125). فالتشبيه هنا (كأنما يصعد في السماء) يُجسد الحالة النفسية للمُضلل تجسيدا حسيًا بليغًا: فضيق صدره من الإسلام يُشبه ما يحسّه الإنسان من الاختناق والضيق حين يتصاعد في طبقات الجو العليا التي يخف فيها الأكسجين³.

1 الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1991م، ص121.

2 الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1992م، ص97.

3 الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج2، ص72.

وما يُعزّز الأثر الحجاجي لهذا التشبيه هو أنه يُقدّم دليلاً حسيّاً على أن رفض الهداية ليس موقفاً عقلانياً بل هو حالة مرضية ناجمة عن ختم إلهي على القلب. وبذلك يُسقط الحجة الضمنية التي قد يستخدمها المشرك حين يدّعي أن رفضه للإسلام يستند إلى قناعة عقلية، فيبيّن التشبيه أنه ضيق وأسر لا قناعة وحرية. ويلاحظ الرازي في تفسيره أن هذا التشبيه من أبلغ ما في القرآن من وصف حالة الكفر النفسية، لأنه يجعل حالة الضيق والاختناق شهادةً حسيةً لا يستطيع من يعانيتها الإنكار 1 .

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوْكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ (الآية 39)، يأتي التشبيه بالتصوير (الصمم والبكم والظلمات) ليقدم حجةً بصرية في صورة الكافر: فهو أعمى لا يرى، وأصم لا يسمع، وأبكم لا يُعبّر عن الحق. وهذا ليس ذماً مجرداً بل هو وصف حجاجي يُثبت أن التكذيب ليس موقفاً معرفياً صحيحاً بل هو إعاقة حسية ذهنية تحول دون إدراك الحقيقة. وقد أشار الزمخشري إلى أن هذه الأوصاف الثلاثة مرتبة ترتيباً تصاعدياً: الصمم يمنع التلقي، والبكم يمنع التعبير، والظلمات تمنع الرؤية كلها 2 .

ثالثاً: الاستعارة وطاقاتها الحجاجية

إذا كان التشبيه يُقدّم وجه الشبه صريحاً، فإن الاستعارة تحمل الحجة في طياتها بصورة أشدّ تكتيفاً وأعمق تأثيراً. وقد قرّر عبد القاهر الجرجاني في «أسرار البلاغة» أن «الاستعارة في فضل التأثير وقوة التصوير تفوق التشبيه الصريح»، وهذا الفضل ذو وجه حجاجي واضح: فالاستعارة تُدمج المشبّه والمشبّه به في كيان واحد دون أن تُصرّح بالمقارنة، فيتلقاها الذهن مباشرة دون تفكير تحليلي قد يُثير المقاومة 3 .

ومن أبرز الاستعارات الحجاجية في سورة الأنعام ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الآية 100). فالفعل ﴿خَرَقُوا﴾ استعارةً بليغة تُجسّد عملية اختلاق نسب الله من الباطل على هيئة الشقّ والخرق العنيف، وكأن هؤلاء يشقون في نسيج

1 سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج2، ص1079.

2 عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص179.

3 الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج13، ص189.

الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام.

الحقيقة الكونية شفاً عنيفاً بغير علم. وهذه الاستعارة تُضمّن حجة: أن من يُخرق في علمه ويتصرف بالاختلاق لا يؤخذ بقوله¹.

وتُشكّل استعارة الضياء والظلام في سورة الأنعام محوراً حجاجياً بالغ الثراء، إذ يُوظف النور رمزاً للهداية والإيمان والمعرفة الحقيقية، والظلمة رمزاً للشرك والجهل والضلال. وقد افتتحت السورة بذكر الظلمات والنور في الآية الأولى: ﴿وَالْأَرْضَ وَجَعَلْنَا الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ وعادت إليهما في مواضع كثيرة. فالحجة التي تتطوي عليها هذه الثنائية المستعارة هي: أن من يسير في الظلام لا يرى الطريق، وعليه فتكذيب المشركين ليس حكمة بل هو انعدام الرؤية الهادية. وهذه الاستعارة تُحوّل قضية عقدية مجردة إلى صورة حسية حياتية يُدركها كل إنسان².

رابعاً: الحجة بالتمثيل في قصة إبراهيم عليه السلام

من أروع مواضع الحجاج البياني في سورة الأنعام قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه في الآيات (76-83)، حيث يسلك القرآن مسلك التمثيل والحجاج التدرجي. يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (الآية 76). فإبراهيم عليه السلام يُطبق في هذه القصة منهجاً حجاجياً استقرائياً تجريبياً: يأخذ الكوكب ثم القمر ثم الشمس بوصفها احتمالات للربوبية، ويختبر كل واحدة منها بمعيار موضوعي واحد: الأفول. وحين تأفل جميعها تسقط حجج المشركين من الأساس، إذ لا ربوبية لما يأفل ويزول³.

وما يجعل هذا الحجاج بالغ الأثر هو أن إبراهيم لا يُصدر حكماً مبدئياً مُسبقاً بل يُمارس النظر العقلي أمام المُخاطبين بصورة تدرجية تُشركهم في العملية الحجاجية وتجعلهم يُدركون النتيجة بأنفسهم: «ما تعبد هو مخلوق مثلك يأفل وينطفئ، فلا يصح أن يكون رباً». وفي ختام هذا الحجاج يُعلن إبراهيم عليه

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج7، ص143.

2 الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج2، ص86.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج7، ص161.

السلام موقفه الحجاجي النهائي: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الآية 79)، وهو إعلان موقف مُتَوَلَّد طبيعيًا من نتيجة النظر العقلي. وقد وصف سيد قطب هذا المسلك بأنه «التجريب المنطقي السديد في البحث عن الحق»، مُنَوِّهاً بمنهجيته الحجاجية الفريدة¹.

2-2 التكرار ودوره في تدعيم الحجة

أولاً : مفهوم التكرار وأبعاده الحجاجية

يُعَدُّ التكرار من أكثر الظواهر الأسلوبية إثارةً للجدل في الدراسات البلاغية التقليدية، إذ رآه بعضهم دليلاً على الإطناب المذموم، في حين أثبت آخرون أنه حين يأتي موظفاً في سياقه المناسب يكتسب قيمةً تعبيريةً وإقناعيةً بالغة. أما في الدراسات الحجاجية الحديثة فقد حُسم هذا الجدل لصالح القراءة الإيجابية للتكرار، إذ يرى بيرلمان وأولبريش-تيتيكا أن التكرار يُدخل في حيز الوعي التداولي للمتلقي القيمة الحجاجية المُكْرَر، ويُثَبِّتها فيه ثبوتاً لا تُزِيلُه المقاومة الأولى².

وفي سورة الأنعام، يأخذ التكرار أشكالاً متعددة ومتنوعة تتراوح بين تكرار الألفاظ وتكرار التراكيب وتكرار المواقف والأفكار. وكل نوع من هذه الأنواع يؤدي وظيفةً حجاجيةً محددة تتعلق بدعم الحجة وترسيخها في وعي المتلقي وتضمنين السياق التراكمي الذي يُعزِّز فاعليتها الإقناعية³.

ثانياً : تكرار صيغة «قُلْ» وأثرها الحجاجي

من أبرز مظاهر التكرار الحجاجي في سورة الأنعام تكرار صيغة الأمر ﴿قُلْ﴾ الموجهة من الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم. وقد أحصى العلماء في هذه السورة وحدها سبعة وأربعين مرة (47) تكررت فيها هذه

1 الزمخشري، الكشف، مرجع سابق، ج2، ص86.

2 رشيد الراضي، الحجاج في القرآن الكريم: أهم مقارباته وأبرز توجهاته النقدية، الوراقة الوطنية، مراكش، ط1، 2006م، ص78.

3 حمادي صمود (إشراف)، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، مرجع سابق، ص147.

الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام.

الصيغة، وهو رقم لافيت يتجاوز بكثير ما في أي سورة أخرى مماثلة في الطول. ويؤدي هذا التكرار الاتصالي وظيفَةً حجاجيةً ثلاثية الطبقات: أولها التوكيد على أن كل ما يقوله النبي هو بأمر الله لا بأمر نفسه، وثانيها إقامة نمط خطابي ثابت يُسبق كل حجة بفعل الإبلاغ الموثق، وثالثها تراكم الحجج المُوصلة بعضها ببعض لتتشكّل منظومة استدلالية شاملة تجمع بين التوحيد وإبطال الشرك وإثبات النبوة¹.

وحين تتأمل ترتيب الحجج التي تصدرها «قُلْ» في السورة تجد تنوعًا يعكس شمولية الرد على المشركين: «قُلْ لِلَّهِ شَهَادَةٌ» دليل على الوحدانية، و«قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ» استفهام تحذيري، و«قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ» نفي للغلو، و«قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ» إعلان للموقف. وهذا التنوع في محتوى الحجج مع وحدة صيغة التقديم يُشكّل سيمفونية حجاجية متناسقة ذات مفتاح واحد وألحان متعددة².

ثالثًا: تكرار المشاهد الكونية وتراكم الدلالة

يُلجأ في سورة الأنعام إلى تكرار الإشارة إلى المشاهد الكونية والنعم الربانية بصور متعددة ومن زوايا مختلفة، وذلك لأن تكرار الدليل من مداخل متعددة يُعزز قوته الإقناعية ويُغلق أمام المُعترض أبواب الإنكار. فالسماوات والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والأمطار والنبات والأنعام والبحار كلها تُستحضر مرةً بعد مرة لا لأن القرآن يُعيد المعلومة بلا إضافة، بل لأن كل تكرار يُركّز على جانب جديد من جوانب الدلالة³.

ومن لطيف هذا التكرار التوظيفي أن المشهد الكوني الواحد يُعاد من زاوية مختلفة في كل مرة: فالماء يُذكر مرةً باعتباره منشأً للنبات (الآية 99)، ومرةً باعتباره آيةً كونيةً في النزول من السماء (الآية 6)، ومرةً باعتباره مرتبطاً بالإحياء (الآية 122 بصورة ضمنية). وهذا التكرار من الزوايا المتعددة يُشبه ما يُسمى في

1 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 237.

2 سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج2، ص 1104.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج7، ص9.

الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام.

المنهج الحجاجي «التعزيز التراكمي للدليل» (Cumulation argumentative) «، حيث يتراكم الدليل الواحد في صور متعددة حتى يبلغ حدًا يصعب معه التشكيك فيه 1 .

رابعاً : تكرار النتيجة الحجاجية وترسيخها

ومن دقيق توظيف التكرار في سورة الأنعام أن النتيجة الحجاجية الكبرى —وحدانية الله وبطلان الشرك— تتكرر في السورة بصيغ مختلفة يجمعها مضمون واحد. فتارةً تُصاغ النتيجة في صورة الاستفهام الإنكاري ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ (الآية 114)، وتارةً في صورة التقرير الإخباري ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقَ الْأَرْضِ ﴾ (الآية 165)، وتارةً في صورة الأمر الإعلاني ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الآية 162). وهذا التكرار المتنوع الصور للنتيجة الواحدة يُحكم تثبيتها في ذهن بمدخل متعددة ويُقلّ فرص المقاومة أو التملص 2 .

2-3 المقابلة والطباق في بناء الحجاج

أولاً : الطباق ووظيفته الحجاجية

الطباق —أو التضاد— هو الجمع بين لفظين متضادين في سياق واحد، وهو من أقوى الأساليب البيانية التي تُشحذ ذهن وتُحدّد حدود الحقيقة بتقابل الأضداد. وتتجلى قيمة الطباق الحجاجية في أنه يُقيم حدًا فاصلاً حاسماً بين موقفين أو حقيقتين لا وسط بينهما، مما يلغي إمكانية التذرع بالغموض أو الالتباس.

1 سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج2، ص1037.

2 عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص203.

الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام.

فحين نقول: «هذا حق وذاك باطل» بأسلوب التقابل الصريح تُضطر المتلقي إلى الاختيار بين الطرفين دون مهرب¹.

وفي سورة الأنعام يُوظف الطباق توظيفاً حجاجياً عميقاً في مواضع متعددة. ولعل أكثرها دلالة ثنائية الحياة والموت، إذ تتردد في السورة بصورة لافتة: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ (الآية 95). فهذا الطباق يُقيم حجةً على القدرة الإلهية المطلقة: لأن من يملك الحياة والموت معاً ويتصرف فيهما حسب مشيئته هو وحده القادر المطلق، ومن ثمّ هو وحده المستحق للعبادة. فالطباق هنا ليس زينةً أسلوبية بل دليل وبرهان على قضية عقدية كبرى².

وتمتد ثنائية الهداية والضلال في سورة الأنعام امتداداً واسعاً يُشكّل محوراً طباقياً حجاجياً رئيسياً في بنية السورة كلها. فقلوه تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُخَوِّضْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ (الآية 125) يُؤسس الطباق (الهداية/الضلال) و(الانشراح/الضيّق) مُقابلةً حجاجيةً تُكمل بعضها: هاتان الحالتان لا ثالث لهما، وكل منهما لها أثرها الخاص المحسوس في الصدر. ويتجلى في هذه الآية أن الطباق ليس مجرد أسلوب بلاغي بل هو رسم بياني لمشهد متكامل يُلزم المتلقي بتصنيف نفسه في أحد طرفيه³.

ثانياً: المقابلة وطاقتها في تعزيز الحجاج

المقابلة أوسع من الطباق لأنها تجمع بين أكثر من ضدين في سياق واحد، وهي تستمد قوتها الحجاجية من التوازي البنيوي بين طرفيها الذي يُمكن الذهن من المقارنة الفورية واستخلاص الحكم. وقد

1 حمادي صمود (إشراف)، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، مرجع سابق، ص 147.

2 الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج 2، ص 107.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 7، ص 161.

الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام.

حرص القرآن الكريم على استخدام المقابلة في المواضع الحجاجية الكبرى التي يُراد فيها إبراز الفوارق الجوهرية بين الحق والباطل.¹

ومن أجل نماذج المقابلة الحجاجية في سورة الأنعام ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ (الآية 122). فالمقابلة هنا ثلاثية: (الميت الذي أُحيي) في مقابل (من هو في الظلمات الدائمة)، و(النور الذي يمشي به) في مقابل (الظلمات التي لا خروج منها)، و(الحياة الهادية) في مقابل (الموت الضال). وكل ضلع من أضلاع هذا المثلث الطباقى يُضيف بُعدًا حجاجيًا: فالمقابل الأول يُقيم الفارق في الأصل (الحياة/الموت)، والمقابل الثاني يُقيم الفارق في الوسيلة (النور/الظلمات)، والمقابل الثالث يُقيم الفارق في النتيجة (الخروج/الاستمرار في الظلمات)².

وتُقيم المقابلة في الآيات الختامية للسورة حجةً حاسمة في مسألة التوحيد، إذ يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الآية 164). فبنية الاستفهام الإنكاري هنا تُقيم مقابلةً ضمنيةً بين «غير الله» وبين «رب كل شيء»: وحين تضع الإنسان أمام هذين الطرفين بصورة مُتجاوزة تسقط كل مبررات الشرك بنفسها. وهذا ما جعل ابن عاشور يصف الآيات الختامية لهذه السورة بأنها «تكتشف حجاجي بالغ يختزل المنهج التوحيدي كله في جملة قصيرة مكثفة»³.

3- الآليات التداولية

3-1 المقام والسياق وآثارهما في الحجاج

أولاً: مفهوم المقام وأثره في تشكيل الحجاج

1 محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مرجع سابق، ص 117.

2 الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج 2، ص 107.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 7، ص 279.

الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام.

المقام في البلاغة العربية الكلاسيكية هو جملة الظروف الزمانية والمكانية والاجتماعية والنفسية التي تُحيط بعملية التواصل وتُحدد شروطها ومتطلباتها. وقد ذهب العلماء المتقدمون إلى أن «لكل مقام مقالاً»، مؤكداً بذلك على ضرورة ملائمة الخطاب لسياقه الحقيقي. وفي الدراسات التداولية الحديثة، يُوسَّع هذا المفهوم ليشمل ما يُسمى «سياق التلفظ» (contexte d'énonciation) «الذي يضم: هوية المتكلم والمتلقي، والعلاقة بينهما، والزمان والمكان، والهدف التواصل، والمرجعية المشتركة. وكل هذه المتغيرات تتعكس مباشرةً على بنية الحجاج وتوجيهه وانتقاء أدواته»¹.

وفي سياق سورة الأنعام المكية، فإن المقام التاريخي والديني الذي نزلت فيه ذو أثر بالغ في تشكيل حجاجها وتوجيه خطابها. فقد نزلت السورة في مرحلة مكية متأخرة شهدت اشتداد المواجهة بين الإسلام والشرك، وتكاثر طلبات المشركين للمعجزات، وتعمق محاولاتهم لصرف المسلمين عن دينهم. وهذا السياق الحاد هو الذي يُفسر كثافة الاستفهامات الإنكارية والردود الحجاجية المباشرة والشديدة في السورة².

وقد أشار ابن عاشور إلى أهمية استيعاب هذا السياق في فهم الحجاج القرآني في السورة، مُنبِّهاً إلى أن الخطاب لا يُفهم في عزلة عن محيطه التاريخي والاجتماعي. فمعرفة أن المخاطبين الأوائل كانوا يُؤمنون بأن الله هو الخالق ويُكرون النبوة والوحي والبعث، يُفسر لنا لماذا يستند القرآن كثيراً إلى ما يُقرّونه هم أنفسهم

ح ج ج ع ا ي ه م :

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿٤٦﴾ (الآية

46 وما بعدها). فهذا الأسلوب «الاستلزامي من الداخل» الذي يُقيم الحجة من مُسلّمات الخصم هو ثمرة مباشرة لمعرفة المقام ومتطلباته³.

ثانياً: تعدد السياقات الحجاجية في السورة

1 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 165.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 7، ص 9.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 7، ص 11.

الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام.

تتميز سورة الأنعام بتعدد سياقاتها الحجاجية الداخلية، إذ لا تُخاطب جمهوراً واحداً موحد المواقف والمرجعيات، بل تتوزع مخاطباتها الحجاجية على فئات مختلفة: المشركون بعقائدهم الوثنية، وأهل الكتاب بمرجعياتهم التوراتية والإنجيلية، والمؤمنون الذين يحتاجون إلى التثبيت والتربية، والنبي صلى الله عليه وسلم الذي يُوجّه إليه الأمر بالإبلاغ. وهذا التعدد يجعل السورة خريطةً حجاجيةً متشعبة تتكيف مع سياق كل خطاب وفق مقتضياته الخاصة¹.

ففي السياق المُوجّه إلى المشركين، تُركّز الحجج على نقض عقائدهم بأدلة حسية ومنطقية يُقرّون بأصُولها ولها: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (الآية 100). وفي السياق المُوجّه إلى أهل الكتاب تُستحضر المرجعية التوراتية كما في الآية 91: ﴿وَمَهْدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾. وفي السياق التعليمي للمؤمنين تأتي الوصايا الكبرى في الآيات (151-153) مُعلّلة ومُبرهنة².

ثالثاً: السياق المعرفي المشترك وتوظيفه في الحجاج

يعتمد الحجاج القرآني في سورة الأنعام اعتماداً كبيراً على ما يُسميه التداوليون «السياق المعرفي المشترك» (Common Ground)، أي منظومة المعارف والمعتقدات والتجارب التي يُشارك فيها المتكلم والمتلقي ويبنى عليها الخطاب. وقد وظّف القرآن هذا السياق المشترك توظيفاً حجاجياً فائق الذكاء: انطلق من المُسلّمات التي يُقرّ بها المشركون أنفسهم ليقود منها إلى النتائج التي يرفضونها. فحين يقول سبحانه: ﴿

1 سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج2، ص1041.

2 الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج13، ص15.

وَلَيْنَسْأَلَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴿٦١﴾ (الآية 61 وما في معناها)، فإنه يستخدم تسليم الخصم نفسه أرضيةً ينطلق منها 1 .

وهذا الأسلوب يُسمى في البلاغة الحجاجية «إلزام الخصم بمقدماته» أو «الإلزام الداخلي»، وهو من أقوى أساليب الحجاج لأنه لا يطلب من الخصم قبول أدلة جديدة بل يُثبت له أن ما يُنكره متناقض مع ما يُقرّه هو ذاته. وقد أشار سيد قطب إلى عمق هذا الأسلوب في سورة الأنعام مُلاحظاً أن القرآن «يأخذ المشركين بما يؤمنون به ليثبت لهم أنهم يناقضون إيمانهم الأول بشركهم»، وهو ما يجعل الحجة القرآنية في السورة حجة لا مهرب منها إلا بنقض مُسلمات الإنسان لأصول فطرته 2 .

3-2 المخاطب في سورة الأنعام والاستراتيجيات التأثيرية فيه

أولاً: تحديد المخاطبين في السورة وتنوع أصنافهم

يتّسم الخطاب القرآني في سورة الأنعام بظاهرة تعدد المخاطبين التي تجعل من السورة نصّاً متعدد الأصوات على المستوى التداولي. فثمة مخاطبون حاضرون يُخاطَبون مباشرةً بضمير الخطاب (أنتم/أنت/الكاف)، وثمة مخاطبون غائبون يُحدّث عنهم بضمير الغيبة (هم/الواو)، وثمة النبي صلى الله عليه وسلم المخاطب بالأمر (قُلْ). وهذا التنوع يُوجب على الحجاج أن يتكيف مع طبيعة كل مخاطب وظروفه ومتطلباته 34 .

فالمشركون — وهم الصنف الأكثر حضوراً في خطاب السورة — يُخاطَبون بثلاثة أساليب متنوعة: أسلوب المناقشة العقلية الهادئة (كالاستدلال بالظواهر الكونية)، وأسلوب المواجهة المباشرة (كالاستفهام الإنكاري الحاد)، وأسلوب التحذير والإنذار (كاستحضار مصير الأمم الغابرة). وهذا التنوع في أساليب مخاطبة

1 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 178.

2 عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 139.

3 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 252.

الصنف الواحد يُدل على أن القرآن يُعامل المتلقي بوصفه كياناً معقداً متعدد المداخل لا كائناً أحادي الاستجابة¹.

ثانياً: الاستراتيجيات التأثيرية الكبرى في مخاطبة المشركين

أ) استراتيجية التدرّج الحجاجي: يتسم الخطاب القرآني في سورة الأنعام بأنه لا يُوجّه الحجة الحاسمة ابتداءً بل يُدرجها تدريجياً من المُسلم إلى المُنكر. فيبدأ بالاعتراف بما يُقرّه المشرك، ثم ينتقل منه إلى ما لا يستطيع إنكاره من المترتبات، ثم يُقرّر النتيجة التي كان يرفضها. وهذا التدرّج هو الذي يجعل الحجة تعمل من الداخل لا من الخارج، مُزيلاً المقاومة تدريجياً بدلاً من مواجهتها فجأة. وخير مثال على ذلك تعاقب الأسئلة الاستفهامية الحجاجية في الآيات (40-47) التي تبدأ بافتراض الأزمة ثم تُقيم الحجة ثم تُلجئ إلى الجواب².

ب) استراتيجية استثارة الوجدان والضمير: إلى جانب الحجج العقلية، تنتهج سورة الأنعام استراتيجية وجدانية تُخاطب الضمير الإنساني الفطري، مُستحضرة مشاهد الهلع والأزمة الوجودية لتزعزع الاطمئنان الزائف في المشرك. ومن أبرز هذه الاستراتيجيات قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيِّنَ أَجْنَحًا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الآية 63). فهذه الآية تُستحضر فيها اللحظة الأشد هشاشةً في تجربة الإنسان — لحظة الخوف والعجز في مواجهة المجهول — لتُبين أن المشرك في تلك اللحظة يُناجي الله وحده، وفي ذلك شهادة فطرية على الوجدانية³.

ج) استراتيجية الإلجاء إلى الإجابة: وهي استراتيجية حجاجية تقوم على وضع المخاطب أمام سؤال لا مهرب من الإجابة عنه، وتكون الإجابة الوحيدة الممكنة هي ما يُريد الخطاب إثباته. ومن أبلغ أمثلتها قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ (الآية 12). فالسؤال يُلجئ المخاطب إلى إجابة

1 الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج13، ص218.

2 محمد سالم ولد محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص177.

3 عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص203.

الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام.

واحدة، ثم تُؤخذ هذه الإجابة بوصفها مقدمةً حجاجيةً تُبنى عليها النتيجة اللاحقة: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. فمن أقر بأن ما في السموات والأرض لله وجب عليه أن يؤمن بالبعث والجزاء¹.

ثالثاً: مخاطبة المؤمنين وتشبيتهم حجاجياً

لا يقتصر الحجاج في سورة الأنعام على مواجهة الشرك والمشركين بل يمتد إلى تثبيت المؤمنين في مواجهة الضغوط والشبهات. فقلوه تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَكُمْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (الآية 116) يُقدّم حجةً لتحسين المؤمنين من الانجراف وراء كثرة المخالفين. والحجة مُركّبة: أولاً الكثرة ليست دليلاً على الحق، وثانياً سبيل هؤلاء الكثيرين مبني على الظن لا اليقين، وثالثاً ما يزعمونه هو تخرص لا علم. وهذه الثلاثية الحجاجية تُعزّز صمود المؤمن في وجه الضغط الاجتماعي².

وتُختتم السورة بخطاب تثبيتي حجاجي موجّه للنبي ولمن معه في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الآيتان 162-163). وهذا الإعلان الحجاجي الختامي يؤدي وظيفة تداولية ثلاثية: إعلان الهوية (من أنا وما مسلكي)، وإعلان المرجعية (الأمر الإلهي)، وإعلان الأسبقية (وأنا أول المسلمين) التي تُقيم حجةً بالقدوة والأسبقية في الالتزام³.

3-4 الأفعال الكلامية ودورها في الحجاج

1 الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج2، ص19.

2 سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج2، ص1104.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج7، ص213.

أولاً : نظرية الأفعال الكلامية وتطبيقاتها على الخطاب القرآني

أثبتت نظرية الأفعال الكلامية التي أرسى أسسها جون أوستن ثم طورها جون سيرل أن الكلام لا يقتصر على وصف الواقع بل يُنجز من خلاله المتكلم أفعالاً اجتماعية وتواصلية متنوعة. وقد وجدت هذه النظرية تطبيقاً خصباً على الخطاب القرآني الذي أثبتت الدراسات أنه يُضمّن عدداً كبيراً ومتنوعاً من الأفعال الكلامية في سياقه الحجاجي. فالقرآن الكريم لا يكتفي بالإخبار والإعلام بل يُنجز من خلال ملفوظاته أفعالاً من قبيل: الوعد والوعيد والإنذار والبشارة والإلزام والتحدي والنهي والأمر والتوكيد، وكل هذه الأفعال ذات فاعلية حجاجية مباشرة¹.

وفي سياق سورة الأنعام يُلاحظ المتأمل أن الأفعال الكلامية تُوظف توظيفاً استراتيجياً يعكس التصميم الحجاجي الكامل للسورة. فمن الأفعال الكلامية الكبرى التي تُشكّل عمود السورة الحجاجي: التأكيد (Assertif)، والإنذار (Avertissement)، والتحدي (Défi)، والأمر (Directive)، والإعلان (Déclaration).²

ثانياً : فعل الإنذار وحجاجيته في السورة

يُعدّ فعل الإنذار من الأفعال الكلامية الأكثر حضوراً في سورة الأنعام، إذ يُبنى جزء كبير من حجاجها على الإنذار بعواقب الكفر والشرك وتكذيب الأنبياء. وقد قسّم سيرل الإنذار ضمن ما يُسمى الأفعال التعبيرية التي تُعبّر عن موقف المتكلم وتُحاول استثارة استجابة المتلقي. والإنذار في الخطاب القرآني يحمل قوة إلزامية استثنائية لكونه صادراً من العالم بالغيب والقادر على إنفاذ ما يُنذر به³.

ومن أوضح نماذج فعل الإنذار الحجاجي في السورة قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا

1 مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م، ص65.

2 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص269.

3 سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، مرجع سابق، ص138.

وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْتَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ (الآية 6). فهذا الفعل

الكلامي الإنذاري يُقيم حجةً تاريخية: من أهلكنا هم أقوى منكم وأكثر نعمةً، وقد أهلكهم ذنبهم. فالقياس الضمني يُفضي إلى النتيجة الإنذارية: وأنتم — إن استمررتم على شرككم — لستم بمنجاة¹.

ويُلاحظ في بنية فعل الإنذار في السورة أنه يعمل على مستويين متلازمين: مستوى حجاجي تاريخي يستشهد بالماضي، ومستوى وجداني يُخيف ويُحذّر ويستقر ضمير البقاء والنجاة في الإنسان. وهذا التلازم بين العقل (الشواهد التاريخية) والوجدان (الخوف من المصير المماثل) هو ما يجعل الإنذار القرآني في سورة الأنعام أشد تأثيراً من أي إنذار بشري، لأنه يُخاطب الإنسان في أعماق طبقتين من طبقات وعيه².

ثالثاً : فعل التحدي وإقامة الحجة بالعجز

يُقيم فعل التحدي في سورة الأنعام — كما في غيرها من سور القرآن — نوعاً فريداً من الحجاج يُسمى «حجاج العجز» أو «الحجة السلبية»، وهي الحجة التي تُثبت صحة الادعاء بعجز المعارضين عن دحضه. وهذا النوع من الحجاج يتجلى بصورة خاصة في مشهد التحدي بإنزال الآيات الكونية في الآية 109: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ يُؤْمِنُ بِهَا قُلٌّ إِنَّمَا الْآيَةُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. فحجة التحدي هنا مُركبة: طلبكم للآيات زائف لأنكم لو صادقين لكفتمكم الآيات الكونية المنتشرة أمامكم، وقسمكم كاذب لأن الآيات إذا جاءت لن تُفيد قلباً ختم الله عليه³.

ويتجلى فعل التحدي أيضاً في الحجاج الصريح بالعجز عن مضاهاة القرآن ضمناً في كثير من المواضع التي تُقدّم القرآن وصفاً للحقائق الكونية والتاريخية التي لا يمكن أن يأتي بها إنسان من تلقاء نفسه.

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج7، ص279.

2 الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج13، ص234.

3 عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص217.

الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام.

وقد أشار الرازي في «مفاتيح الغيب» إلى أن وصف الكون والإنسان والتاريخ في سورة الأنعام يمثل هذه الدقة والشمولية من غير كتابة أو قراءة هو في حد ذاته حجة على صحة النبوة لا تحتاج إلى دليل آخر 1 .

رابعاً: فعل الوعد والبشارة وأثره الحجاجي

في مقابل الإنذار يُوظف القرآن في سورة الأنعام فعل الوعد والبشارة بوصفه حجةً للترغيب والاستجلاب. فقولته تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الآية 32) يجمع بين فعل الوعد (الدار الآخرة للمتقين) وفعل الاستفهام الإنكاري (أفلا تعقلون) في نسيج حجاجي واحد. والجمع بين الحجة العقلية (أفلا تعقلون) والحجة الوعدية (دار الآخرة) يستهدف مدخلين مختلفين في النفس الإنسانية: العقل والغريزة، لتكون الحجة أعمق أثراً وأشد إلزاماً 2 .

وتتكامل أفعال الوعد والوعيد في السورة لتشكل معاً منظومةً حجاجيةً يقوم على قطبيها كل الخطاب: قطب الترغيب وقطب التهيب. ويرى مسعود صحراري في دراسته للتداولية العربية أن هذه المنظومة الثنائية هي صورة عليا من صور الحجاج التداولي، لأنها تغطي الطيف الإنساني كاملاً: من يُحرّكه الرجاء ومن يُحرّكه الخوف ومن تعمل فيه الحجتان معاً 3 .

خامساً: فعل الإقرار وتوظيفه الحجاجي

ومن الأفعال الكلامية اللافتة في سورة الأنعام فعل الإقرار (Commissif de reconnaissance) الذي يُستخرج من المشاركين أنفسهم في ثايا الخطاب الحجاجي. فحين يقول القرآن: ﴿وَلَيْنَسْأَلَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (الآية 63)، فإنه يُسجل إقراراً من المشاركين يُستعمل حجةً عليهم. وهذا الإقرار المُستخرج ليس ادعاءً من النص القرآني بل هو

1 سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، مرجع سابق، ص 149.

2 خالد ميلاد، الإنشاء في العربية، مرجع سابق، ص 117.

3 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، مرجع سابق، ص 319.

الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام.

رصد واقعي لما يُقرّ به المشركون حين يُسألون صادقين. وهذا الأسلوب يُشكّل ما يُسمى في الحجاج «الحجة بشهادة الخصم على نفسه»، وهي من أقوى أنواع الحجج لأن الخصم لا يستطيع إنكار ما أقرّ به¹⁴.

وفي حجاج بالإقرار يتضمن سورة الأنعام نمطاً فريداً تُبنى فيه الحجة في ثلاث خطوات متتابعة: الاستفهام الذي يُلجئ إلى الإقرار، فالإقرار الذي يُستخرج من الخصم، فالإلزام بالنتيجة الذي يُبنى على الإقرار. وهذا النمط الثلاثي يتجلى في مواضع عديدة من السورة، أبرزها الآيات (12-14) و(40-47) و(63-65) وغيرها. ويجعل هذا النمط من السورة نموذجاً حجاجياً تعليمياً فريداً يُعلّم كيف تُبنى الحجة من داخل مُسلّمات الخصم لتُلزّمه من موقف اختار هو أصوله²⁴.

خلاصة الفصل:

يتضح مما استعرضناه في هذا الفصل أن الحجاج في سورة الأنعام منظومة متكاملة متعددة المستويات، يُسهم كل مستوى منها في بناء الصرح الإقناعي الذي شيّده النص القرآني الكريم في هذه السورة العظيمة. فعلى الصعيد اللغوي، يتوزع هذا الحجاج بين الأسلوب الخبري الذي يُرسّخ الحقيقة العقدية ويُقيّمها على أسس من المشاهدة والدليل، والأسلوب الإنشائي الذي يُشرك المتلقي في عملية بناء الحجة ويضعه في مواقف لا مهرب فيها من الاعتراف، وأدوات التوكيد والنفي التي تُضبط الطاقة الإقناعية للخطاب وتوجّهها نحو غاياتها المحددة.

وعلى الصعيد البلاغي، جاءت الصور والاستعارات والتشبيهات لتُعمّق الأثر الحجاجي بتقريب المجرد من المحسوس وتحويل الحجة الذهنية إلى صورة حية تُصافح العقل والوجدان معاً. فيما أثبت التكرار

1 الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج2، ص107.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج7، ص213.

الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام.

—بأشكاله المتنوعة— أنه ليس إطناباً مذمومًا بل ترسيخٌ حجاجي متعمّد يُديم الحجة في الوعي ويُراكم آثارها الإقناعية. أما المقابلة والطباق فقد أتاحا للخطاب أن يُقيم التمييزات الحاسمة بين الحق والباطل بأسلوب بلاغي يُريح العقل ويُلغي التردد.

وعلى الصعيد التداولي —وهو أشمل المستويات وأعمقها— تبين أن الحجاج في السورة قائم على وعي دقيق بالمقام وسياق التواصل، يُنتج استراتيجيات متنوعة تُناسب كل صنف من أصناف المُخاطبين وكل موقف من المواقف الحجاجية. كما أثبتت الأفعال الكلامية —من إنذار وتحذير ووعد وإقرار— أن القرآن الكريم يشغل على مستوى التواصل الإنساني بأسلوب تداولي رفيع يُوظف الكلمة لتُتجزّ فعلاً في الواقع لا لتصفه فحسب، وهو ما يمنح الخطاب القرآني في سورة الأنعام طابعه الحي المتجدد الذي يتجاوز الزمن والمكان.

الخاتمة

خاتمة:

بعد هذه الرحلة التحليلية المعمّقة في أعماق الحجاج اللساني التداولي عند ديكر و تجلياته في سورة الأنعام، يمكن الوقوف عند جملة من النتائج والخلاصات التي أسفرت عنها هذه الدراسة:

1. أثبت البحث أن نظرية الحجاج في اللغة كما صاغها ديكر وأنسكومبر تمثل أداة تحليلية فعّالة وملائمة لدراسة الحجاج في النص القرآني، إذ أتاحت الكشف عن أبعاد حجاجية عميقة مُدرجة في بنية الألفاظ والتراكيب ذاتها، وليس مُضافةً من خارج النص.

2. تبين أن سورة الأنعام نموذج قرآني فريد يتضافر فيه الحجاج اللغوي والبلاغي والتداولي بصورة متكاملة ومنسجمة، مما يُجلّي وجهًا بارزًا من وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

3. كشف البحث أن الآليات اللغوية التركيبية --- من جملة اسمية وفعلية، وأسلوب خبري وإنشائي، وتوكيد ونفي --- تحمل جميعها أبعادًا حجاجية محددة ترصدها نظرية السلم الحجاجي ومفهوم التوجيه الحجاجي عند ديكر.

4. أكّدت الدراسة أن الروابط الحجاجية في سورة الأنعام --- كأداتي التوكيد والإضراب وغيرهما --- تُنظّم الحجج وترتّبها في سلال حجاجية تُوجّه المتلقي نحو الإقرار بوحداية الله سبحانه وتعالى ونبذ الشرك.

5. أظهر تحليل الافتراض المسبق أن كثيرًا من الآيات تُوظّف هذه الآلية توظيفًا بارعًا يُرسّخ قيمًا عقديّة في وعي المتلقي قبل أن يدخل دائرة النقاش والمجادلة المباشرة.

6. بين تحليل الأفعال الكلامية أن الأساليب الإنشائية في السورة --- من استفهام وأمر ونهي --- ليست أساليب إنشائية محايدة بل أفعال كلامية ذات شحنة حجاجية توجيهية موجّهة نحو غرض تداولي محدد.

7. أثبتت دراسة تعدد الأصوات في السورة أن الخطاب القرآني يستحضر أصواتًا متعددة --- أصوات المشركين وأصوات الرسل والأنبياء وأصوات الخلق في مواقف الحشر --- ليقيم حوارًا حجاجيًا داخليًا يُفضي في نهاية المطاف إلى إسقاط حجج الباطل وتثبيت حجة الحق.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

أولاً: المعاجم والقواميس

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
2. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م.
3. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق - بيروت، ط1، 1412هـ/1992م.
4. جاك موشر وأن روبول، القاموس الموسوعي للتدولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، مراجعة خالد ميلاد، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط2، 2010م.

ثانياً: الكتب العربية

1. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، دار الأحمديّة (العمدة)، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م.
2. أحمد بن عبد الله البعلبي، الذخر الحرير بشرح مختصر التحرير، تحقيق: محمد بن علي بن عثمان الفوزان.
3. أرسطو، الخطابة، تعريب عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م.
4. باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، 2008م.
5. حمادي صمود (إشراف)، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية.

6. سلوى إبراهيم دهمش، دراسات في الحجاج، 2008م.
7. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2011م.
8. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص.
9. شوقي المصطفى، الحجاج في المنطق غير الصوري.
10. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي.
11. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة.
12. عبد المجيد الإنتصار، الأسلوب البرهاني الحجاجي في تدريس الفلسفة من أجل ديداكتيك مطابق، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997م.
13. عبد النبي ذاكر، نظرية الحجاج، 2011م.
14. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم: بنيته وأساليبه، دار الفارابي، بيروت، 2007م.
15. عبد الله صولة، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته.
16. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي.
17. محمد سالم ولد محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة.
18. محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية.
19. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي.
20. محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، 2010م.

21. هود محمد أبو راس، الخطاب القرآني لأهل الكتاب وموقفهم منه قديماً وحديثاً، دار الكتب العلمية، بيروت.
22. الحسن بن قاسم المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، بيروت، 1413هـ/1992م.
23. رائد مجيد جبار، رسائل الإمام علي في نهج البلاغة: دراسة حجاجية، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العراق، ط1، 1438هـ/2018م.
24. أوزوالد ديكرو، القول والملفوظ، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 2000م.

رابعاً: الرسائل الجامعية (مذكرات وأطروحات)

1. خديجة محفوظ، بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007م.
2. مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص12.

خامساً: المقالات العلمية والمجلات

1. عبد الرحمان بن حميدي، «الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث»، مجلة البحث العلمي في الآداب، العدد 19، الجزء 2، 2018م.
2. فالح عبد الله شلاهي، مؤيد آل صوينت، «نظرية التعدد الصوتي في البلاغة الجديدة» (أوزوالد ديكرو أنموذجاً)، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد 38، 2020م.

3. مجلة كلية التربية، جامعة العريش، السنة السابعة، العدد الثامن، أبريل 2019م.
 4. عبد الحليم عمر، «الأفعال الكلامية: منظومة التواصل اللغوي المعرفي»، منشورات صفحة التداولية بين يديك، مادة رقمية، 29 نوفمبر 2024م.
-

سادسًا: المحاضرات الجامعية

1. عمور، نظرية الحاج في اللغة عند أوزوالد ديكيرو، محاضرة موجهة لطلبة ماستر 1، جامعة ابن خلدون تيارت.

فهرس الموضوعات

الصفحة	المحتوى
	الغلاف
	الإهداء
	الشكر والعرفان
أب	مقدمة
04	الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للحجاج اللساني التداولي
04	1. الحجاج في درس اللساني الحديث
04	1.1 مفهوم الحجاج لغةً واصطلاحاً
04	أولاً: الحجاج في اللغة العربية
05	ثانياً: الحجاج في الاصطلاح الحديث
06	1.2 تطور الدراسات الحجاجية
06	أولاً: الجذور الكلاسيكية – الخطابة الأرسطية
08	ثانياً: مشروع بيرلمان – الخطابة الجديدة
08	ثالثاً: نموذج تولمين – الحجاج في الاستعمال
09	رابعاً: الانعطاف التداولية – ديكر و مدرسة الحجاج في اللغة
09	2. النظرية الحجاجية عند ديكر و (المقاربة التداولية)
10	2.1 مفهوم الحجاج عند ديكر و

الصفحة	المحتوى
10	أولاً: الحجاج وصميم اللغة
10	ثانياً: الحجاج مقابل الإخبار
11	ثالثاً: مفهوم القوة الحجاجية والحجاج اللغوي
12	2-2 السلم الحجاجي: تعريفه وطبيعته
13	أولاً: قوانين السلم الحجاجي
14	ثانياً: السلم الحجاجي وأثره في الدراسات العربية
14	2-3 الروابط الحجاجية
14	أولاً: تعريف الروابط الحجاجية وأهميتها
16	ثانياً: تصنيف الروابط الحجاجية
17	2-4 القيم التداولية في الحجاج
17	أولاً: العلاقة بين الحجاج والتداولية
18	ثانياً: ما قيل وما دُلَّ عليه
18	3-آليات الحجاج اللساني التداولي عند ديكر
18	3-1 التوجيه الحجاجي
18	أولاً : مفهوم التوجيه الحجاجي
19	ثانياً : التوجيه الحجاجي ومبدأ التكافؤ الوصفي

الصفحة	المحتوى
19	2-3 تعدد الأصوات (Polyphonie)
20	أولاً: تعريف تعدد الأصوات عند ديكر
20	ثانياً: مستويات التعدد الصوتي في الملفوظ
20	3-3 الافتراض المسبق (La Présupposition)
20	أولاً: مفهوم الافتراض المسبق و منزلته في نظرية ديكر
21	ثانياً: الافتراض المسبق و الخطاب الحجاجي
22	3-4 الأفعال الكلامية و الحجاج
22	أولاً: نظرية الأفعال الكلامية الأرضية النظرية
23	ثانياً: "توظيف ديكر للأفعال الكلامية في نظريته الحجاجية"
24	ثالثاً: تكامل الآليات الحجاجية في الخطاب
25	خلاصة الفصل الأول
27	الفصل الثاني: آليات الحجاج اللغوي في سورة الأنعام
28	1. الآليات اللغوية التركيبية
28	1.1 الحجاج بالأسلوب الخبري
28	أولاً: مفهوم الأسلوب الخبري و طبيعته الحجاجية
28	ثانياً: الجملة الاسمية و حجاجية الثبات و الديمومة

الصفحة	المحتوى
29	ثالثا: الجملة الفعلية و حجاجية التجدد و الحدوث
31	رابعا: الاستدلال الخبري بالدليل الكوني
31	1-2 الحجاج بالأسلوب الإنشائي
31	أولا: تعريف الأسلوب الانشائي ووظيفته الحجاجية
32	ثانيا: الاستفهام ودوره الحجاجي
34	ثالثا: الأمر ووظيفته الحجاجية في الصورة
35	رابع: النهي و دوره في الحجاج
35	1-3 أدوات التوكيد و النفي ودورها الحجاجي
36	أولا: أدوات التوكيد و الحجاج في سورة الأنعام
37	ثانيا: أدوات النفي و بعدها الحجاجي
38	2. الآليات البلاغية
38	1-2 التشبيه و الاستعارة ودورهما في الحجاج
38	أولا: العلاقة بين السورة البيانية و الحجاج
39	ثانيا: التشبيه و بعده الحجاجي في السورة
40	ثالثا: الاستعارة و طاقاتها الحجاجية
41	رابعا: الحجة بالتمثيل في قصة إبراهيم عليه السلام

الصفحة	المحتوى
42	2-2 التكرار و دوره في تدعيم الحجة
42	أولاً: مفهوم التكرار و أبعاده الحجاجية
42	ثانياً: تكرار صيغة "قل" و أثرها الحجاجي
43	ثالثاً: تكرار المشاهد الكونية و تراكم الدلالة
43	رابعاً: تكرار النتيجة الحجاجية و ترسيخها
44	2-3 المقابلة و الطباق في بناء الحجاج
44	أولاً: الطباق و وظيفته الحجاجية
45	ثانياً: المقابلة و طاقتها في تعزيز الحجاج
46	3. الآليات التداولية
46	1-3 المقام و السياق و آثارهما في الحجاج
47	ثانياً: تعدد السياقات الحجاجية في السورة
48	ثالثاً: السياق المعرفي المشترك و توظيفه في الحجاج
48	2-3 المخاطب في سورة الأنعام و الاستراتيجيات التأثيرية فيه
49	أولاً : تحديد المخاطبين في السورة و تنوع أصنافه
49	ثانياً: الاستراتيجيات التأثيرية الكبرى في مخاطبة المشركين
50	ثالثاً: مخاطبة المؤمنين و تشبثهم حجاجياً

الصفحة	المحتوى
51	3-4 الأفعال الكلامية ودورها في الحجاج
51	أولاً: نظرية الفعال الكلامية و تطبيقاتها على الخطاب القرآني
52	ثانياً: فعل الإنذار و حجاجيته في السّورة
52	ثالثاً: فعل التحدي و إقامة الحجة بالعجز
53	رابعاً: فعل الوعد و البشارة و أثره الحجاجي
54	خامساً: فعل الإقرار و توظيفه الحجاجي
55	خلاصة الفصل الثاني
	الخاتمة
60	قائمة المصادر والمراجع
65	الفهرس